

تراتيل الماء

"مجموعة قصصية"



د. سناء شعلان



طبع بدعم من وزارة الثقافة

2 0 1 0

تراتيل الماء

" مجموعة قصصية "

تراويل الماء "مجموعة قصصية"

د. سناء شعلان

الطبعة الأولى

طُبِعَ بدعم من وزارة الثقافة

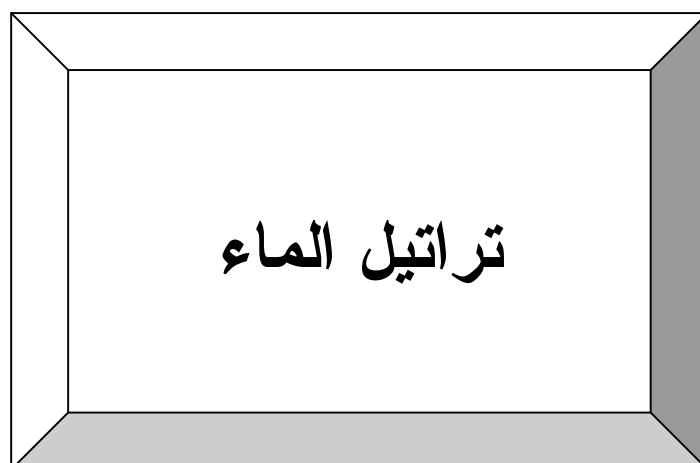
٢٠١٠

تراويل الماء

لا جدوى من حفظ سيرة
مولانا الماء ؛ لأنها تتبخر
في الأجواء الصحراوية ،
وتتجمد في الصقيع.

الفهرست

- ٥ - ١- تراويل الماء
- ١٧ - ٢- سيرة مولانا الماء.
- ٢٧ - ٣- س. ص. ع لعبة الأقدام.
- ٣٦ - ٤- سفر البرزخ.
- ٤٠ - ٥- المفصل في تاريخ ابن مهزوم وما جادت به العلوم
- ٦٠ - ٦- حكاياتها.
- ٦٧ - ٧- قاموس الشيطان.
- ٨٧ - ٨- أحزان هندسيّة.
- ٩٤ - ٩- خرافات أمي.
- ١٠٦ - ١٠- نفس أمارة بالعشق.
- ١١٤ - ١١- مليون قصة للحزن.



تراثيل الماء

"الماء وحده هو الذي يحفظ سيرة الحقيقة، ولذلك كُتب عليه الرَّحِيل أَنَّى كان"*

(١)

ماء السَّماء

(تراثيله مقدّسة)

كان دون أقربائه وإخوانه في بسطة الجسد والحظّ والجمال، بل دونهم حتى في كرم الأقدار عليه وعونها له، ومنذ لحظة ولادته الأولى كُتب عليه الحرمان، فنفسه الدنيوي الأوّل كان مسلولاً من نفس أمه التي لفظت نفسها الأخير معنّة بعد ولادة تُوصف على سبيل التبسيط بالمتعسّرة، وهي تتوسّد حلم حُضن طفلها الرّابع، ولكنها ما حُضنت مُنتظرها، ولا هو حُضن، فكان الطرد من فردوس حنانها دون خطيئة يذكرها على وجه التّحديد أو يقدرها أوّل ما استقبله في هذه الحياة التي كان يسميها أمّه تقرباً منها، فتعامله كزوجة أب شريرة نكاية بضعف يتمه.

ولكنه ما كان يبالي بعسرته، فهو على الرّغم من كلّ نقائصه وهفواته ومشاكله وحرمانه وعذاباته، صاحب أطيّب قلب في الدّنيا، قلبه الأثير لروحه الموشاة بجمال صفاته أعزّ ما يملك، كسب الكثير من السّعادة الرّوحية بسبب هذا القلب، وخسر أكثر بسبب عصيانه له، وتجبره في أمره، فقد كان أَنَّى شاء فعل.

قلبه يشبه ماء السَّماء، طاهر، ومبارك من الرّب، لم تمسّه يد بشر أو جان، ولم يتلاعب به شيطان خناس، مكانه في العلياء؛ لأنّه لا يعرف إلاّ الخير والعطاء

* لا تحتاج قراءة الماء إلى خرائط.

والبذل، ولم يخلق إلا لذلك، الشيء الوحيد الذي يسكن بياضه؛ هو الرحمة والعطاء على الرغم من حرمانه المتواصل الذي لا يعرف هوادة.

كان أول المتطوعين لصدّ أولئك الغاشمين المعتدين على أرض الوطن، لم يكن يتقن الشعارات والتصريحات، ولم تُنقَط له أيّ صورة في ملبسه الحربيّة خلف متراس أو جدار، أو في ملجأ، أو في ساحة حرب مفترضة؛ لتُتشر بالألوان في الصفحة الأولى في أيّ مجلة أو صحيفة في الدّنيا، ولم تتحرّق أيّ أم على غيابه، ولم تتعه أخت، أو تبكيه حبيبة أو زوجة، إنّما كان نسيج وحده، خرج وحيداً إلى الجهاد، مفاخرًا بجسده الصّغير المختزل المتآكل كلّ الشهداء والأبطال والأبرار، صادق سلاحه وضمّه إلى قلبه، وكان الجزء الأصعب في ساحة الوغى من نصيبه، على عكس الفرار والملاجيء التي كانت من نصيب إخوته المبسوطين جسداً وحالاً؛ فقد كانوا يظنون بأجسادهم الجميلة، وأرواحهم القميئة على الموت ولو كان بلبوس شهادة.

بصدره الفقير الصّغير ذي الضلوع النانتة استقبل رصاصات العدو، ضمّها إلى عميق وشائجه، لم يبالي بفعلها الآثم في لحمه، وقبل أن يسقط أرضاً - كما ينبغي لكلّ شجرة مُغتالة - أفرغ أمانته من الذّخيرة في أجساد رهط من جنود الأعداء، ثم استسلم ليدي أمّه الأرض، وابتسم برضاً لأول مرة في حياته يخال نفسه فيها مُنصفاً؛ إذ رأى روحه تُحمل ببرد الماء وتسعى نحو مستقرّها الأبيض الأزليّ في السّماء.

(٢)

ماء الأرض

(تراثيله مكاءً وتصدية)

هي ليست مخلوقة من ماء الأرض الزلق الكدر المتسخ فحسب، بل هي مخلوقة بالتحديد من آسن مياه المستنقعات ومن قتام رذيلتها ومن مقزز مدرها وقدر قيعانها، لم تخر أن تُخلق من هذا الماء الملعون بنفسه دون غيره، ولكن هذا هو قدرها، وقدر مائها الذي ما عرف مآلاً غير السقوط والتمرغ في الرذيلة والرخص والتهاوي.

هي صنیعة البغاء والإجرام، ومن التحامهما كانت. فمن شهوة أب مجرم متعظم على ضعف البغايا، وعائش على عرقهن المحموم الآثم، ومن شهوة مصنوعة إجبارياً لموس تعسة اعتادت على أن تهب جسدها لكل دافع لثمنه أو متجبر مبتز كانت.

لم تحظ بغير عار هذين الوالدين، وعنهما ورثت الرذيلة والسقوط والتردي، كانت تحلم بمدرسة ودفتر وعصفور وكأس حليب قبل النوم وحكاية عن الشااطر حسن، وبدمية بثوب وردي شأنها شأن أي طفلة حاملة في هذا العالم، وما كانت تعلم بعد أن اللحم محرّم على من هنّ مثلها من الوارثات، ولكن أول سرير بغاء ذُبحت عليه قتل كل أحلامها، وجعلها كوابيس تطارد نومها المنكود وصحوها المأسور.

احترفت إعدام أحلامها، والرقص عارية على رفاتها غير آبهة إلا بزبائن جسدها المنهوك بمهنته الحارقة وبياعيه، إلا ذلك اللحم، فقد كان قدرها الذي ما استطاعت أن تغتاله، فمن له أن يغتال حلمه؟ كان حلمها أظهر من أن يحمله

جنان بغي، ولكنه كان أثيرها، كانت تحلم بأن تحجّ إلى بيت الله، لتخلع هناك كلّ آثامها، وتخلص بحبّ لا يعرف رجساً أو ألماً ولا خطيئة لربّ غفور.

مرة أفتت سرّها لشريكاتها بمهنة الخطيئة، فأحرقنها بسخريتهنّ، وجدفنّ أمامها بصفاقة هي من طبعهنّ، وأسمينها الحاجة إمعاناً بإزدراء حلمها البعيد عن روح خاطئة مثله. لكنها ظلّت تحلم وتحلم وتحلم حتى اختفت يوماً وشهراً وعاماً، ومابالي بغيابها أحد، ولا افتقد روحها مفقود؛ فالبغايا بلا أرواح!!!

وهناك في حياض الكعبة المشرفة كانت تحجل ليل نهار بثوب أبيض يجلّل جسداً تحمل روحاً ظاهرة تائبة ماعادت مخلوقة من ماء الأرض والمستنقعات بل من ماء السّماء!!

(٣)

ماء البحر

(تراثيله سخط)

تعلمت من البحر الذي ولدت في كوخ بالقرب منه الغدر والقسوة والجبروت، وتعلمت منه بامتياز التقلّب والدّهاء، ونفسها تنطوي على ألف سرّ خبيء كبحر خرافي، وفي زرقة عينيها تسكن كلّ أسرار البحر، وفتنة عشقه، ولكن خلفهما تماماً يسكن خواء أسود عميق لا يعرف معناه إلاّ ضحاياها من المغدورين أو المقربين القلّة من الأصدقاء وشركاء العمل.

جمالها وبطش قلبها عماد عملها، تبيع خدماتها لكلّ من يملك أن يشتري مواهبها في التجسّس، ولا تبالي بالأسباب أو الأهداف أو النتائج أو الضحايا أو الخيانة، وتتبع قائلة أمام حاسديها في العمل إنّها على استعداد للتجسّس على والدها إن دُفع لها ثمن مناسب لذلك.

التجسس عملها ومنهجها ومبدؤها في الحياة، وكان من الممكن أن يظل سرّ سعادتها فضلاً عن ثرائها لو لم تقابله.

كانت مهمتها تنحصر في التقرب منه، وإيقاعه في حبّها أو حتى في الرغبة في جسدها، ثم تمكينه من مأربه للتمكّن من مأربها وصولاً إلى انتزاع كلّ المعلومات منه انتهاءً بالنكوص هرباً نحو المجهول، ولابأس في أنّه قد أُعطيت لها أوامر جديدة بالتخلّص منه بسمّ زعاف من السهل أن تدسّه في طعامه، وهو الذي بات مستسلماً لها، لا يعرف راحة أو هناء أو سعادة دونها. فذلك يعني زيادة في أجرها.

كم كان الأمر سيكون سهلاً لو أنّها لم تقع في حبّه، كم كان هذا الرّجل الوسيم المقيم في الرّوح سيغدو صيداً سانحاً لو أنّها لم تعشق الحياة معه. هو الحبّ المستحيل الذي لطالما داعب قلبها المقدود من الصّخر إلاّ من أمنية وحيدة عرجاء، اسمها قلب رجل يعشقها دون القلوب، وهاقد جاء القلب العاشق، وجاء الرّجل، وتحقّقت الأمنية، وحضر الجزاء بلون أسود من جنس عملها، وعليها الآن أن تدسّ السّم في كأس الرّجل الوحيد الذي عشقت، ومن له أن يرفض أوامر الجهة التي تعمل لحسابها؟ إذن ستسحق هي وأهلها، وسيطال الموت أيضاً من أحبّت دون رحمة .

ليس عندها فسحة من الوقت لتقارع هو اجسها، وتسكّن لواعج قلبها، عليها أن تكون كما شاءت أن تكون الأمة المطيعة مادامت قد استمرت ذلك. وأجازت لنفسها أن تغدر من تحبّ بحكمة البحر وبجماله وببطشه، أعدت حفلة بهيجة لكليهما، وارتدت الأزرق الذي يشبه شرخ روحها وأملس حجر عينيها، وأعدت عشاءً فاخراً، وراقصته طويلاً، واستمهلّت الموت حتى يأخذ قسطه من الطّعام والرّقص والمسرة، ثم قدّمت له كأس الشراب المسموم، وقرعته بفرح

مصنوع بعناية بكأسها الذي أفرغت فيه نصف قارورة السم، وكانت لها الرشفة الأولى التي استنفدت نصف الكأس، وانسرحت مع صمت مستسلم تنتظر الموت الذي جاء يتبختر على حرقه قلبها.

أما هو فبات يمسد صمتها بربت خفيف حنون على كتفيها، وهي تتكوم كقطعة سيامية أليفة في حضنه، وتزفر آخر أنفاسها بصعوبة وحشجة تفوق كتمها وصرها. وفي يسراه كأسه المسموم الذي لم ينقص جرعة، فهو رجل بحر، لا يأمن أبداً لغيره، مادام الغدر طبعه الأصيل، ولو كان لقلب امرأة عشقته بصدق، وآثرت الموت معه إن لم تستطع الحياة له، ولهذا يُعدّ أفضل جاسوس في بلده.

(٤)

ماء البحيرة

(تراويله بكاء)

جميلة هي البحيرة التي يسكنها صمت أزرق موغل في القدم، وترحل إليها الجداول الصغيرة، وتصادق صغار الحيوانات والبشر ومحبي الصيد والطيور المهاجرة وصبية الكشافة دون غدر أو قسوة، قاعها قريب وإن كان بعيداً، وما تبتلعه تقدّمه قرباناً لجمالها. ولكنها مأسورة، لا يسمح لها بالرحيل أو الحركة، وكل ما يصبّ فيها من ماء الثلوج والجال والجنادل يغدو مثلها مأسوراً حتى تبتلعه الشمس بلهيبها المحرق صيفاً.

هو يشبه البحيرة، أو البحيرة تشبهه، أو كلاهما يشترك في أزمة الحصار والقيود، هو ليس من أهل هذا المكان وليس مجرماً أو شريراً أو مطارداً أو منفيّاً أو باعثاً عن متعة مترفة، ولكنه مأسور هنا حتى يشفى. المرضى اللئام يهمسون دائماً له بأنه لن يُشفى، ويقولون بثقة يمقتها: لا شفاء من داء الجذام.

مرضه مؤلم وغريب، ويفرض عليه عزلة مقبلة، كل من في هذا المكان إمّا مجنومون أو معالجون للجذام. لا يتذكّر والديه، فقد التهمهما الجذام في قريته التي ما عاد يذكرها، عندما سيق إلى هنا منذ أن كان صغيراً.

يحلم بأيّ مكان في هذه الدنيا سوى أسره بالقرب من هذه البحيرة التي لطالما حرّضها على الثورة والهروب من مكانها دون جدوى، هي تستسلم للتبخّر والنقصان أمام جبروت لهيب الشمس، هي جبانة، وهو أيضاً جبان أمام مرضه، فما هو يأكل أطرافه بعد أن يدميها دون أن يقول له لا، ويتذرع بالدمع مآلاً لضعفه.

الدولة تجبره ومن معه على الإقامة في هذا المكان وإلا الموت حرقاً أو رمياً بالرصاص لمن يحدثه عقله بالهرب منه، والعودة إلى الديار بهذا الوباء المرعب. ولكنه يتمنى الهروب من هنا على الرغم من عقاب الموت الذي ينتظره، وفي جنباته يضجّ ماء البحيرة الحالم مثله بالهرب.

هذا الصبّاح الماطر هو أفضل الفرص للهرب، السماء تزمجر، وتلقي أحمالها من الماء بسخاء، والبحيرة تضطرب بالشأبيب التي تصبّ بها بعشوائية، وروحه تعانق الانعناق. ينتعل الحلم، ويركض بعيداً لا يلوي على شيء، وصوت الكلاب التي تطارده تسبق خطواته في الغابة، والبحيرة تتضامن مع ثورته، وتفيض، ويتدفق ماؤها راكضاً خلفه وخلف الكلاب في الغابات.

في الصبّاح كان الهدوء يخيم على الغابة وعلى الكلاب النائمة بعد ليلة مطاردة متعبة وعلى البحيرة التي عادت مكرهةً، وابتلعت ماءها المفلوظ مع أول إشراق شمس، وعلى جسد الصّغير المجنوم الذي قدّم للنار لتأكله دون شهوة بعد أن أردته رصاصات حراس المصحّة في ليلة أمس الماطرة.

(٥)

ماء النهر

(تراثيله رقص)

لا يجيد السّباحة، ويكاد لا يتذكّر كيف قطع هذا النهر في يوم من الأيام
هرباً من عدو صهيوني داهم قريته المسالمة مع للموت والنسيان والأحلام
المنفيّة، كان ليلتها فتياً لا يملك سوى الأحلام وعمل شاق في الأرض، وألم
طارىء مؤلم في عينيه حار فيه الطّب الشعبي وأدوية أبي حسين الحلاق الذي
نصّب نفسه منذ زمن بعيد طبيباً للقرية، ورضي به الناس إكراماً لفقرهم، وذكلاً
أمام فاقتهم وعجزهم.

أيدي الإخوة هي من حملته إلى مابعد النهر، وأنقذته من موت ليلته كان
على أيدي عصابات الصّهائنة التي اغتالت قريته في ساعات، وجعلتها خرائب
وقبور ومدافن.

ألف وعد نحر على هذه الضّفة وهو يؤمّل النفس بالعودة، أقسم على أن لا
يسكن جبلاً أو كهفاً أو مخيماً أو معتقلاً، وأن يعسكر في هذا المكان من الضّفة
الأخرى حتى يعود، وطال الانتظار، ورحل البصر مع الرّاحلين، وماترك مكانه،
ولا بارح انتظاره، وعندما خيط سلام مع العدو، وانتحر حلم عودته، وغاب في
ظلمة عينيه بارق عودة، خلع قميصه الوحيد، وحذاءه المطاطي المهترىء، ويمّم
نحو الوطن، وألقى نفسه في النهر مجدّفاً نحو الضّفة الأخرى، ووجيب قلبه
المشتاق هو بصره الدليل، وما زال حتى الآن يجدّف، وإن لم يكن يجيد السّباحة...

(٦)

ماء الينبوع

(تراثيله حكايا)

"ماء الينبوع لما شُرب له" ،هذه هي حكمة الماء، وحكمة أهل القرية التي اعتزلت التجارب والعلم والرحيل منذ زمن، وركنت إلى الراحة، وآثرت سلامة الجهل على مخاطر العلم، ونسيت كلّ ماضٍ خلا ينبوعها السحري الذي آمنت بقدرته على الوهب والعطاء والشفاء والانتقام والحرمان ، حتى عندما جفّ الينبوع إلا من النزر القليل، وبات ماؤه شبه آسن، بالكاد يتتزيّ الماء منه كتقب في قرية ،ظلّ أهل القرية يؤمنون بطاقاته العجيبة وقدرته السحرية، ويسوقون إليه العطايا والنذور، ويطرحونها تباعاً في فمه الذي كاد يُغلق من كثرة ما دُفع إليه من أشياء.

الينبوع كان يسخر من جهل من حوله، ويتمنى لو كان يستطيع أن يتشكى لهم من الضرر الذي يلحقونه به من كثرة ما يلقون فيه من نذور لا تعنيه، ولا تسعده، فما حاجته هو إلى الطعام والمال والنفائس والعطور والنمارق والتحف ونوادير البهارات والأعشاب والزهور والشموع!!؟

ولكن ما كان لأحد أن يسمع شكواه أو يفهمها، ولذلك فقد قرّر أن يثور لاضطهاده، ولفظ في لحظة جنون كلّ ما فيه من نذور وهدايا وهبات، فانبلج ماؤه من جديد متدفّقاً رقراقاً، يعلوه خريير سعيد طروب.

أهل القرية عدّوا ثورة الينبوع بركة ومنة جديدة على قدراته الخارقة، ومن جديد غمروه بالمزيد من النذور، فقد غدا عندهم رمزاً للثورة أيضاً، وهم مولعون بالرموز التي يصنعونها من الخرافة والعدم والأوهام والنذور.

(٧)

ماء الشلال

(تراويله عشق)

بين يدي الشلال المنهمر بتمرد مزهو من شقوق الصخر وقف، تحت ثقل
دفعه المندفع بقوة برودته المعانقة لذكريات الشتاء، وصقيع الثلج المذاب انتصب
بعزم مُستدعى تحت منزلق مياه الشلال الملقى نفسه بتكسر من عل. هو
لا يقف بين يدي الشلال فحسب، بل هو يقف بين يديها دون نساء الدنيا،
مفارقة مؤلمة تشبه مسرحياته الفاشلة وموهبته الخاملة التي أنى حاول أن
يبعث الحياة فيها فشل.

هي مسرحيته الأجل التي أيقن بمرارة منذ زمن قريب أنه لن يلعب فيها
دور البطولة أبداً مهما اجتهد، ومهما عشق؛ ولذلك كرهها ببذخ وبسخاء بقدر
ما كسرت فيه من آمنيات جميلة، ومشاعر متقدة.

ما كان ليظن أنه سيلعب معها اليوم دون كل الأيام مشهداً صغيراً وجميلاً
من مسرحيته الحلم الخالدة على الرغم من أنها لم ولن تولد. كل شيء رتبته القدر
ليقف بين يدي الشلال، أي بين يديها هي المولعة بالأماكن المرتفعة، والمياه
المتدفقة، ما كان يريد أن يجتمع معها في أي مكان، مادامت قد لفظت مشاعره
غير أبهة بحبه الرتيب. وبدقائق من إقناع واه من الأصدقاء وجد نفسه يرافقها في
رحلة نحو الجبال، ومع أول شطحة جنون معهودة منها كانت أول المتسلقين
ارتقاء نحو الشلال، وكان هو آخرهم بمهمة أسندت إليه على عبث من الأصدقاء
للإمساك بها، وحمايتها من الانزلاق في مهاوي المسقط الصخري للشلال.

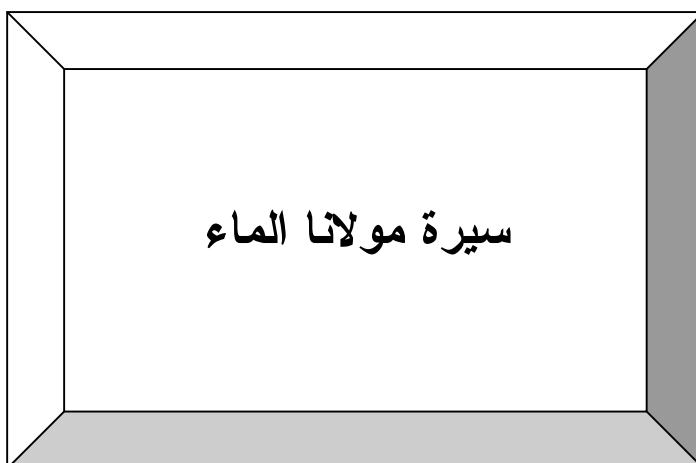
هو يكرهها، ربما، لكن من المؤكد أنه كان يحبها في يوم من الأيام، عنده ألف سبب مزعوم ليكرهها، وإن كان يعرف في قرارة نفسه المولعة بالصمت والكبت أنه يكرهها؛ لأنها لم تحبه في يوم قط. والآن هو يقف تحت الشلال معها، يمسكها بيديه كي يحميها من الانزلاق، وينسرح في تراويل الشلال الذي يعرف مأوه دون غيره كم يعشقها! وكم يعشق أريجها الذائب في مياهه الجامحة! دقائق سعيدة مرت، وهو يمسكها حاضناً حامياً أو حامياً عاشقاً، ومع أول ارتجافة برد انزلقت من يديه، وغادرت معبدهما المائي التليد، ابتعدت تجفف شعرها الفاحم، وتركته هو الممثل المخلوع يعانق طيفها بين يدي الشلال، ويتململ بتبرم ظاهر؛ ليعرف جميع الأصدقاء الموجودون أنه يكرهها، وبشدة!!

(٨)

مأوهما

(تراويله نسل)

جمعهما حبُّ اسمه احتياج واقتناع وأفكار مشتركة، هو يبحث عن امرأة تخترق الشكل التقليدي، والوظائف النسوية الرتيبة؛ لتكون صنواً له في مجتمعه المخملي الذي يكرس كل الأفكار التحررية ومبادئ الحداثة وما بعد الحداثة، وهي في حاجة إلى رجل يردد أمامها بلا انقطاع إيمانه بالمرأة وبطاقاتها وبأدوارها المعطلة المأمولة، ولذلك فقد تزوجا، وآلا إلى هذه اللحظة الحميمة، حيث نسيا كل مبادئهما واحتياجهما، واستحضرا كل تركيزهما ليعلو مأوه ماءها، فيكون مولودهما ذكراً، لا أنثى إن علا مأوها ماءه، فهما على الرغم من تقدّميتهما العريضة إلا أنّهما في الفراش رجعيان يفضلان إنجاب ذكر على أيّ أنثى.



سيرة مولانا الماء

سيرة مولانا الماء هي سيرة الحياة ، بها أرّخت الأزمان ، وكتبت الحقب ، وفي حصنه انبتت الحياة. فمولانا الماء هو الحياة . فمرحى لسيرة الماء ، وما أطولها وأشقاها من سيرة !

(١)

سيرة التكوين

تقول الأسطورة إنّ مولانا الماء بدأ حياته وحيداً حزيناً، وإنه وُجد من غير أبٍ أو أم ، وإنّما كان بكلمة كُن فكان ، فكان مزيجاً من الموت والحياة ، من الدّفء والبرد ، من الخوف والأمن ، من التدفق والسكون ، من الاعتام والنور ، من القسوة واللين ، من التعالي والتواضع ، من البدايات والنّهيات ، كان خليطاً من كلّ المتناقضات ، ولذلك كان بقلب إنسان ، فهو كان أشبه الموجودات به ، ولهذا أولاه الإنسان حبه ، وأكنّ له التقدير ، وعدّه شبيهه الأزلي ، وتوأم وجوده ، وأرّخ بأزليته تاريخه الزائل ، وأسماه مولانا.

وتكريماً لمولانا الماء فقد جعل الله الجبار عرشه العظيم فوق صفحات مائه ، ليتباهى بجلال وسرمديّة ، وترك له حرية الحركة والانتقال والتشكّل والتحوّل ، فكانتُ الغيوم أوّل أشكال الماء ، كان عندها مولانا الماء صغيراً يافعاً ، طاهراً كدمعة ، ناعماً ككلمة ، حنوناً كخفقة ، سهلاً كحزن ، اعتاد على أن يجوب الدّنيا ، وأن يطلّ عليها من عل ، ولذلك فقد كان طاهراً بريئاً نبيلاً سامياً لا يعرف قسوة كالجبال ، أو إحراقاً كالنّار ، أو غضباً حارقاً كالرياح ، أو تذبذباً كالتضاريس أو

حَقْدًا كالمعادن ، أو خوفًا أو ذلًا كالكائنات الحيّة ، فقد كان مكانه السّحاب والغيوم حيث لا يرتقي أحد.

نهاره كان يزجيه بمراقبة البشر ، والتسكّع في الفضاءات ، وليله يقطعه بالتعبّد لله خالقه، خالق الحياة من العدم ، فقد كان صديقًا مؤمنًا تقيًا مجبولاً على طاعة الله وعبادته إلى أن شغلته الدّنيا ببريقها ، فهفا قلبه إلى طبيباتها وملاذّها ، فتمنّى أن ينعم بنقائص البشر ، وبزائل سعادتهم ، ووقع في حبّ نساء الأرض وطعامها وحياتها ولهوها وعبثها وفنونها ، وتمنّى أن يهبط إلى الأرض ، ولأنّه مؤمن صالح ، لو أقسم على الله لأبره ، فقد استجاب الله لطلبه ، وجعله يهبط من غيومه على شكل أمطار وبرّد ، فعرف البشر المطر لأول مرة في تاريخ وجودهم ، بعضهم قابلوه مرحّبين به ، وعدّوه هبة السّماء ، وآية الطّهر ، وسمّوا أنفسهم المؤمنين ، في حين عدّه الآخرون لعنة وغضباً من السّماء ، وتطفلاً على حياتهم ، ومبادرة مستفزّة لإزعاجهم ، وتبلييل أجسادهم وملابسهم ، وإغراق محاصيلهم ، ورفضوا استقباله ، وهدّدوه بالهراوات والمناجل والسكاكين والفؤوس ، فسماهم المؤمنون الكافرين .

لكنّ السّماء رفضت عودة الماء إليها ، بعد أن هجرها طائعا زاهداً بها ، فما كان من الماء إلاّ أن احتلّ أغوار الأرض ومنخفضاتها ، واستلقى فيها بعد رحلة سياحة مضنية في الأرض ، فكوّن البحار والبحيرات والأنهار والجداول والآبار والينابيع ، وأروى ذلك الشّعور المضني من الجّفاف في حلق البشر الذي سُمّي بعدها بالعطش ، فتنبّله المؤمنون والكافرون على السّواء ، وطفقوا يفكّرون بالاستئثار به ، وقامت عندها أول حروب البشر ، وسالت الدّماء ، واختلطت بالماء التي ابتلعها مولانا الماء مكرهاً ثم بات يشتهيها ، ويؤمّل نفسه بها.

(٢)

عروس مولانا الماء

اعتاد مولانا الماء على ترياق الدماء ، وبات يطالب به أشدّ الطلب ، ويغضب ، ويرعد ، ويزبد ، ويغور ، ويفور إذ ما حُرِم منه ، فتجاهل طلبه الكفرة الملحدون ، في حين صار المؤمنون به أنّى طلب وفعل ينفذون طلبه ، ويرضونه دون أن يسفكوا دماء الأبرياء ، فأطعموه في البداية أجساد المجرمين والشاذين والخارجين عن جماعتهم ، ثم بعد أن نَفَدَ مخزونهم من المغضوب عليهم استسلموا للعجز ، فغضب مولانا الماء عليهم ، وأمر البحار والأنهار أن تفيض وتغرق كلّ البشّر ، فلبّت البحار والأنهار ما أمرت به ، وصبّت غضبها ابتداءً على الصيادين المساكين الذين قلبت قواربهم ، وأغرقتهم في الماء ، وحاصرت رهطاً من الناجين منهم في الجزر وفي أعشاش السواحل ، وهدّدت بإغراقهم والشواطئ إن لم يُعطَ مولانا الماء بغيته من الدماء .

جلّ البشّر في مدائن الحجارة لم يبالوا بغضب الماء ، ولا بغرق السواحل ، ولا بموت الفقراء والصيادين ، ولم يسعوا إلى استرضاء مولانا الماء ، فتقدّمت هي الحسنة السّمراء الحافية من مولانا الغاضب ، وعرضت عليه جسدها وروحها ودماءها مقابل أن يرحم والدها الصياد العجوز السّتيني ، وأن لا يغرق سنيي شقائه في تلك الجزيرة القزم التي اعتصم بها. فكّر مولانا الماء قليلاً ، ثم وافق على عرض السّمراء ، فعروض النّساء الجميلات لا تُرفض ، وابتلعها بشهوة ، وامتصّ دماءها حتى النّخاع ، ثم هدأ وركن إلى جلال صمته ، وفكّ حصاره المائي عن السواحل والشواطئ والخلجان والجزر ، وعلت صفحات مائه زهوراً بيضاء حزينة.

(٣)

حوريات الماء

آنس البشر من جديد إلى مولانا الماء ، وأمنوا غوائل غضبه وثورته سخطه ، وأطلقوا اسم تلك الحسناء السمراء على المئات من مولوداتهم ، وعدّوها الأم الكونية الأولى ، ورسموا صورتها على معابدهم وصوامعهم ، وأعلوا شأنها حتى أصبحت رمزا للتضحية والفخار ، وحاكوا حولها القصص والخرافات والأساطير ، فتناقلها الناس جيلاً بعد جيل ، واستمتع مولانا الماء بسماعها تُروى على مسمعيه مرّة تلو الأخرى ، بل إنه حفظها ، وكان يرويها لنفسه في خلواته ، ثم هيّجت رغبته الدّموية سكونه من جديد ، وأرعد وأزبد من جديد ، وطالب من جديد بعروس بشرية تزفّ إليه ، وإلا فسيغرق البشر أجمعين والأرضيين ، فخاف البشر أيّما غضب ، وسكنتهم ذلّة ، وأرهقتهم مسكنة ، فنزلوا على رغبة مولانا الماء، وزفّوا له عاماً إثر عام - بعد أن أصبح غضبه موسميّاً دورياً - أجمل نسائهم في أثواب قشبية ، واحتفالات بهيجة ، كان على النساء فيها أن يبكين ويضحين ، وعلى الرجال أن يرقصوا ويترنّموا ويتغنوا بالتراثيل المقدّسة.

ونجح كاهن مولانا الماء في أن يقنع النساء الأضحيات بأنهن سيتحوّلن إلى حوريات ماء بديعات ، ينعمن بالسعادة وباللّهو بالماء دون أن يورّقهن غضبه ، وسيحظين بشباب خالد ، وجمال أبدي ، وفتنة منقطعة النظير ، فصدّقت النساء الأضحيات بهذه الجنّة الموعودة مجبرات ، واستسلمن لقدرهنّ المشؤوم ، في حين ضحك مولانا الماء ساخراً من خبث كاهنه الأكبر ، وقرّر أن يغرقه في أوّل فيضان ؛ لأنّه مقت خداعه ، فهو مازال يحمل بعض صفاته الطاهرة التي كان يملكها عندما كان سحاباً وغيوماً.

وهامتُ أرواح النساء الأضحيات في البحار والأنهار ، وطاردن الرجال في أسفارهم ، وزينّ لهم المهالك ، وأفسدن عليهم عقولهم ، وأزغن قلوبهم ، وكثيراً ما أسلمنهم إلى الموت غير آسفاتٍ ، فبات الرجال يخشون حوريّات البحر ، ويحسدون مولانا الماء على استمتاعه بهنّ ، فانتفخت أردانه فخراً برجولته المائيّة المزعومة ، وفكر كثيراً بصنع أعضاء جنسيّة رجوليّة ضخمة له ، لتلبي أطماعه ، وتتناسب مع حسد الرجال له.

(٤)

عرّافة الماء

شعر مولانا الماء بالوحدة تقرص قلبه ، وتدمي هيجانه ، وطحنه اشتياقاً إلى أنيسٍ يسامره ، ويداعبه ، ويهبه كلّ جواهره وكنوزه ، ويبوّأه سدّة عليائه ، ومقت أن يكون شخصاً مسروقاً أو أضحية مجبرة ، وفي لحظة حزنٍ وجوديّة عميقة أخلى مولانا الماء سراح أرواح أسيراته من النساء ، وكفّ عن فيضاناته الموسميّة ، وتراجع منسوبه في الأحواض حتى كاد يجفّ ، فأدركت العباد مشقّة ، وأحاط بهم القحط ، وكادوا يهلكون هم وزروعهم ، وتضرّعوا له بشدّة ، ووعده بالنساء الأضحيات ، لكنّه لم يبال بتضرعاتهم أو إغراءاتهم ، وصدّ عن سماع توسّلاتهم ، وزهد بنسائهم الأضحيات إلى أن قابلها في صومعة منتسكة في قلب الصحراء ، كانت كاهنة في محراب عشقه ، عرّافة تسبر الماضي ، وتتنبأ بالمستقبل بيسير مائه ، تقررع الأقداح به ، وترى في صفائه خطوط الزمن ، عشقته دون أن تراه ، وحملت لواء عبادته دون أن تدركه ، وبقيتُ عذراء تنتظرُ قدومه ليفترعها ، فقد قرأتُ مجيئه في خطوط الماء .

عندما رأته أمامها بلججه بلجته وقسائمه وفوضاه أدركت أن الوقت قد حان . لم تهمس بأي كلمة ، اكتفت بابتسامة عميقة كأغواره ، وحزمت أشياءها القليلة وكؤوسها المجيدة بصمت ، وتأبطت ذراعه بعد أن همست في أذنيه بكلمتين سحريتين ، ثم رحلت معه إلى السواحل والشطآن ، وأصبحت زوجة مولانا الماء التي تحكم بالعدل إذا نام حبيبها الماء ، فتقصدها النساء لتتصفهن ، فإن استيقظ مولاها الماء نامت هي ، وتركت اليابسة في عهده يسقط عليها سخطه وغضبه أنى شاء ، وكثيراً ما كان يشاء .

وغدت آلهة الولادة والزيجات والولاء والعدل ، ورُفعت لها التماثيل في كل الباحات وفي خدور النساء ومخادع المحظيات، وتبركت بها النساء، وتبتلن في دور عبادتها ، وجعلن لها عيداً مقدساً اسمه عيد (سيّدة الماء) .

(٥)

تحولات السيّد

مولانا الماء كان ملولاً قلقاً هائجاً لا يفتر، متوتراً لا يهدأ ، متطلباً لا يرضى ، وكانت نفسه تتبدل مرة بعد أخرى، وما كادت نفسه تأنس إلى زوجته العرافة حتى عاد ونفر من أنسه ، واشتاقت نفسه من جديد إلى التمرد والفيضان وتقبل النذور والقرايين والأضحيات الجميلات ، ولأن زوجته غيورة لا تقبل شريكة ، حقودة تجيد الانتقام لنفسها ، ولها عينان سحريتان أهداهما لها يوم زفافهما ، تستطيع أن تراه عبرهما في كل ركن في سائر أرجاء المعمورة ، فقد اعتاد على التتكر والتحول كي ينجح في التخفي والعبث دون أن تتقم زوجته عليه ، ودون أن يُحرم من متعه الفاسدة ، وشهواته الشبقة .

وإمعاناً في التخفيّ والخداع فقد اعتاد على أن يستعير في كلّ مرة جسداً آدمياً لإتمام مهمته ، وكان النجاح حليفه في كلّ مرة ، فلم يكن من الصّعب أن يجد الفساد في أجساد الكثير من العامة والخاصة من سادة وعبيد وعلماء وجهلة وقادة ودهماء ورجال ونساء ، وبقدر ما كان يسعده عبثه ، كان يتقرّز من فساد البشر ، ويتقيّاً طويلاً في مائه كلما عاد من لياليه الحمراء.

(٦)

مذكرات مولانا الماء

طوى مولانا حقباً وأزماناً ما عاد يستطيع أن يحصيها، ولولا زوجته العرّافة لأخفق في أن يتذكّر كثيراً من الأحداث والوقائع ، وكثيراً ما سخر من جهله ، فأنى له أن يجهل مقدار الزّمن ، وهو الزّمن نفسه !!؟ فبه تؤرّخ البدايات والنّهائيات والأزمان ، وبأفعاله تطرّز الأفكار والأحداث والأزمات ، وبرضاه يرتبط التفاؤل والخير ، وبمداده السّحري يدوّن التاريخ بعد أن اخترعت زوجته العرّافة الكتابة والقراءة للبشر.

ولأنّ مولانا الماء قد ضاق ذرعاً بانحطاط البشر ، وملّ تقيؤهُ المعتاد ، فقد قرّر أن ينقطع عن تحولاته الشّقية ، وأن يعكف نفسه على كتابة مذكراته ، واستعان بعرافة زوجته في سبيل تذكّر الكثير من أفعاله الماضية وأقواله البائدة. (١)

(٧)

الطوفان

من جديد عاودت مولانا الماء شهوة الدّماء ، وطالب من جديد بعروسه الأدمية ، واختارها هذه المرّة بنفسه ، وكاد ينالها ، لكنّ عاشقها الفضيّ كان خصمه، ومسافته الطويلة بعيداً عن عروسه، فضرب الشيطان دون رحمة ، وأغرق البلاد والعباد ، وما لان المنتفضون، ولا استسلم المتمردون ، وفي لحظة جنون ابتلع مولانا الماء اليابسة كلّها، ففرّ البشر بسفينة من صنعهم، وسخروا من جور مولانا الماء ومن غضبه ، وتحذّوه ، وصمدوا حتى أوهنه التعب ، ونام.

(١) من مذكرات مولانا الماء :

- ١- في زمن ما أصاب البشر جنون الماء ، فطفقوا يزدبون ويرعدون ، ويتمتّلون طباع مولانا الماء بالغضب والسّخّط والظلم.
- ٢- في لحظة تقرّر قلب مولانا الماء الأرض بمدينة الماء التي عمّت فيها أخلاقه الفاسدة، ومظالمه السّوداء.
- ٣- مناسك الماء هي السبيل إلى التطهر وإلى العودة إلى خلود الماء المفقود حيث الصّفاء والإيمان والتطهر.
- ٤- قطرة واحدة من عرق مُستعبدٍ أو مسخرٍ أو مستغلٍ كافية لتعكير مياه البحار جمعاء.
- ٥- جميع أسفار المظلومين كتبت بماء اللعنة.
- ٦- مولانا الماء اعتاد على أن يسجن الثّوار خلف أسوار أمواجه إلى الأبد.
- ٧- في كلّ مرة أعدم فيها مولانا الماء تائراً على ظلمه كان يعود مرتعداً ، ينام في كهف الخوف الذي يملكه في المجهول.
- ٨- السّاحرات أخذن من قبس العرافة زوجة مولانا الماء ، ومن ماء لعنته ، وكتبن أسحارهنّ وتعاويذهن على ظهور السّلاحف المائية، وأطلقتها في البحار.

(٨)

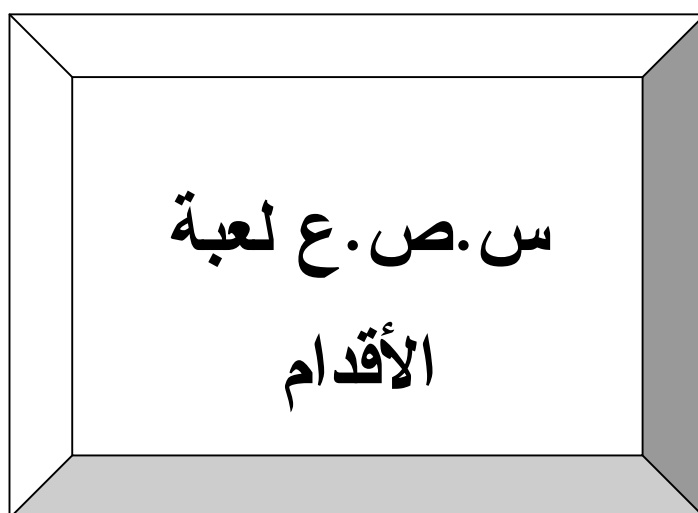
المدينة الفاضلة

نزل البشر الخارجون على طاعة مولانا الماء على أول يابسة طفت من قلب البحر ، وخطوا على سطحها مخطط أول مدينة بشرية تليدة ، وجعلوا العدل دستوراً لجديدهم ، واستكملوا البناء ، لكن الماء بقي فقيدهم وطلبتهم ، ولم تظهر إلا عين ماء مريضة في قلب الجزيرة، فبغاها الكل، وعلى الماء كانت أول المعارك في العهد الجديد ، وعلى أطرافه هدمت أركان المدينة الفاضلة الناشئة.

(٩)

عام مولانا الماء

من جديد عادت الأزمان تؤرخ بسيرة مولانا الماء ، وأدرك الناس أن الأزمان تتشابه إن أرخت بالماء ، فالماء متشابه في كل مكان وزمان ، وحدهم الثائرون هم الذين لهم سير مختلفة ، ودروب شتى ، ووجوه باسمه.



س. ص. ع لعبة الأقدام (١)

" مسموح بكل شيء في لعبة الأقدام ، مسموح بتعالى الضحكات ، مسموح بتهادي الأجساد ، وبتعرق الأبدان ، وبشهوة الغناء والسخرية ، حتى إنه مسموح بالارتداد إلى زمن الطفولة ، أمّا فرحة لقاء الأقدام فممنوعة ، وملعونّة ، وآثم من يقتنصها أو يحترفها " (٢).

"س"

" القدم العرجاء تهوى لعبة الأقدام أيضاً "

لم تعرف يوماً معنى "س.ص.ع" التي كانت تلوكها ضحكات أترابها من صغيرات الحيّ ، وزميلات المدرسة ، كلّما شرعن يلعبن لعبة الأقدام المسكونة بدبيب الرقص ، وأزيز التّأرجح والتّضحك والتّداعي ، ولا فكّت يوماً رموز هذه الحروف المتقلّبة من عقال الكلمات، والمتحرّرة من رداء الجمل والمعاني المدركة ، ولا فهمت أيّ علاقة تربطها بلعبة الأقدام التي تداعب صمت الأجساد ، فتهبها حركة لذيذة ، وتقافزاً مثل فراشات مزهوة بربيع غير آفل. لكن ما تدركه بحزن خرافي قديم كصخرة مقدّسة أنّ هذه الحروف دون غيرها من حروف كلام البشر قد ارتبطت عندها بالحرمان وبالعجز ، وبقدمها العرجاء على غير استحياء ، إذ

(١) هي لعبة للفتيات في الأردن وفلسطين ، تمسك الفتيات فيها بأكف بعضهن ، ويدرنّ في حلقات بشكل دائري ، ومن يُداس على قدمها تخرج من اللعبة ، ويكون الفوز لآخر من تبقى في اللعبة دون أن تُداس قدمها.

(٢) في كلّ المتع هناك شيء ممنوع ملعون؛ولهذا هو مقدّس.

كانت قدمًا عرجاءً بتبحرٍ تعجزُ عن أن تداريه ، فتجذبها بذلُّ نحو الأرض ، وتحني عمودها الفقري نحو معقلِ قِصرِها ، وتبرز ردفِها الصغيرين باستسلامٍ كبيرٍ .
 لم تحلم يوماً بقدمٍ تماثل قدمها السليمة بالطول والصحة ، وتعفيها من ذلِّ العاهة ، وآفة التشوّه ؛ فهي لا تتمنى المستحيل ، فقدمها العرجاء المتكورة عند الركبة هي هبة رحم أمها منذ أن كانت ساكنته السادسة بعد خمسة أخوة ، لكن "س.ص.ع" لعبة الأقدام هي من كانت حلمها ، لطالما أسندت ظهرها المقوس إلى حائط الحارة ، ذلك الحائط القديم الملوّث بصدأ القدم وعبارات النسيان ، وأوساخ أخرى فقدت تاريخ واهبيها وأسماءهم ، تتلصص طويلاً على الأيدي الصغيرة التي تمتد بعشوائية لتمتص بتعرقٍ ثراً أكفأ أخرى ، وترمي بأجسادها الغضة الصغيرة المكسوة بأثواب الطفولة البريئة في دوائر الريح التي تشكلها حركاتهن البهيجة ، وتعلوها ضحكتهن التي تحجب قرع وجيب قلوبهن المشتعلة بحرارة اللهو والتفافز ، والمتوقدة بضربات أقدامهن بالأرض .

تتابع بأسى صحراوي جافٍ يظمئ روحها الصغيرة كحفنة دقيق في كفي فقير خطواتهن الصغيرة ، تتمنى لو كانت قدمها العرجاء طائعة طيبة كانكسارها ؛ لتتأمر معها على الظفر بفرصة لعبٍ واحدة مع الصغيرات ، وعلى فكُّ أبجدية "س.ص.ع" لعبة الأقدام ، لكنَّ بُعدَ قدمها عن قلبها جعله يجهر بكل الأمنيات المؤجلة إلا أمنية قدمها العرجاء ، فقد ظلت بكما ، لا تلوي على لحظة احتجاج أمنية مخنوقة .

مرت عشرون عاماً من الانكسارات والأحزان وتاريخ مُدْم من العرج يعلوه صوت خطواتها غير الرتيبة التي تملك تتابعاً شاذاً ، ليس كسائر تتابع الخطوات السوية ، حتى يكاد يكون بصمة مميزاً لشقائها ، لكنها لم تنسها "س.ص.ع" لعبة الأقدام التي توارثتها طفلات حيها الشعبي

القديم الرّابض على حدود أحياء من هم أقلُّ من سكان حيّها بؤساً وانغماساً في العمل المضني ليل نهار.

كلُّ الأصوات عندها تتماثل، وتتداخل، ثم تتلاشى إلا أصوات ضحكات الصّغيرات المتوجّجة بـ "س.ص.ع" التي لم ترحل مع ذلك الزّمن الرّاحل دون استئذان ، واسمه سنوات الطّفولة وبواكير الصّبا. تخشى الزّوج الطّيب بقوة الفقر ، وتخشى الهروب من مسكنٍ قديمٍ اسمه بيت ، وتتفقد أقدام صغارها في لحظة ولادتهم ؛ للتممّ على أقدامهم السليمة ؛ إذ ترعبها حدّ التلاشي فكرة الأقدام القصيرة ، والخطوات العرجاء ، وتفرح أيّما فرح عندما يمشي أطفالها خطواتهم الأولى بلا حزنٍ شفيفٍ اسمه عرج.

تقطع الحارة يومياً ذهاباً وإياباً ، تتمنّى أشياء ، وتسبّب أخرى ، ثم تنسى ما تمتّ وما سبّت ، إلا لعبة الأقدام فهي لا تتساها ؛ فهي ظلّها الحزين في منحنيات القلب ، " كم ستكون الحياة أجمل لو أنّي حظيتُ ولو مرةً واحدةً بلعبة "س.ص.ع" . تحدّث نفسها بوجلٍ ، ثم تزرع ابتسامة ممطوطة على صفحة وجهها، تتحنح بزفيرٍ شديد ، وكأنّها تسحق أمنيتها القلقة ، ثم تتابع طريقها بعينين زائغتين في زقاق الحيّ الجنوبي حيث متعة لعبٍ "س.ص.ع".

"ص"

" الضفائر السّوداء تتقن لعبة الأقدام "

ضفירתاها السّوداوتان تداعبان وجهها القمريّ الملبّد بغيوم حمرة وجنتيها ، وتنزلقان بشبقٍ خرافي على رديها الصّغيرين ، وتلمسانه باضرابٍ دافئٍ ، ثم تحملان اهتزازة الطّفولي غير المثقل باكتناز الأنوثة الكاملة بعد ، هما رفيف قلبه ، وحلواء روحه ، الزّمن يتوقّف تماماً عندما تبدأ لعبتها مع طفلات الحيّ ، تغيبُ

اللحظات ، ويُضبطُ الطَّقسُ على دقاتِ قلبه المثخن بعشقه الغضِّ ، وتتسع حدقتا عينيه حتى تكادا تبتلعا رذاذ ضحكاتها ، وتقرشا جنون ضفيريتهما السوداوتين ككحل آلة جمال فينيقية ، لا يعرف الكثير من كلماتِ العشق ، وتخونه الكلمات ، وتذله ملابسهُ القديمة المنكودة بطلاء السيَّارات ، وسخام العوادم ، وشحوم المكابح ، فينكسر بين سيارات المرآب المعطَّلة حيث يتعلَّم مهنة عمه كافل فقره وبيتمه ، يراقبها ليل نهار، ويلعقُ جمالها عن جدران قلقِ فرحه الطفولي في لحظات مراقبتها وهي تلعب "س.ص.ع" ، فيتمنى عندئذٍ من صميم قلبه الصَّغير لو كان يملك يدين نظيفتين لا تجلدهما قانورات المحرَّكات ، ولو كانت لعبة حبييته القمرية الصغيرة ليست عنصريَّة ، ومتحيزَّة للفتيات ضد الصبيَّة ، إذن لكان أول من يغزو حلقات اللُّعب على صهوة اشتياقه ، ويحتلُّ كَفَّ إحدى يديها ، ويلاحق بقدمه قدمها التي تحنُّ بطفولة ليست بريئة ، وإن لم تكن مدنسة إلى معانقة قدمها ، ووطنها بخفة لتصبَّ فيها حرارة فرحته بها ، لكنه - وألف حسرة - صبيُّ يتيم مأسورٌ لعمه ، وهي فتاة جميلة بثوبٍ أبيضٍ نظيفٍ ، ووجه قمرِّي مقدَّس ، وضميرتَيْن سوداوين كحبر قصيدة مجيدة على جدار قلبه ، إذن فليصمت ويراقد بها ليل نهار دون كلام ، وليتحسَّر ما شاء على ضميرتَيْها المزهُوتَيْن بثوب الزفاف وبيديَّ رجلٍ ببذلة أنيقة تفكَّهما ، وتسدلهما باشتهاء قرمٍ على ثوبها الأبيض وجسدها العاري ، لتتجب له بعد أشهرٍ قليلة فتاةً بوجه كوجه والدها ، حيث رحل القمر ، ولكن بضميرتَيْن سوداوتين تعشقان أيضًا لعبة "س.ص.ع".

بقوة محرِّكٍ قديم سارت حياتهُ الرتيبة ، وحسبه تاريخ حمارٍ بشريٍّ دأبه العمل والكدّ دون تدمرٍ أو شكوى ، عنده ثلاثة أبناء ذكور ، وابنة واحدة ، لا شمسيَّة ولا قمرية ، وليس لها ضميرتان ، لذا فمن حقه أن يراقب بحسرةٍ دفينه في عميق أشواقه ابنة المرأة التي أحبَّ دون أن تعرف ، وانغرست في سويداء قلبه

طفلةً صغيرةً تفهقه ببراءة ، وهي تلعب لعبتها التي تتقنها ، ولا تسمح لأيّ صغيرة تلهو معها في اللعبة بأن تدوس قدمها ، وتبقى محلقةً في سماء دوائر الريح ، مشرعةً ضفيريّتها دون قصدٍ لطفلٍ يتيمٍ لا يجيدُ اقتناص الكلمات.

"ع"

" عليك أن تحضر جسدك معك كي تلعب لعبة الأقدام "

اعتادت منذ أن كانت طفلةً على أن تجدل الخرز الملون مع ضفيريّتها السوداوتين ، ثم غدت تجدلُ معهما حليب أمومتها المتدفقة وخلجات قلبها المتوثبة أبدأً لسعادة آدمية اسمها ابنتها الصغيرة ، ثم جدلت الأحزان مع ضفيريّتها بعد أن خطف الموت صغيرتها ، وولّى هارباً بها نحو مملكته المظلمة ، وهي تخشى الظلام ، وتخشى كائنات الموت ، وتخشى كذلك ذلك الصمت المطبق الذي اسمه الموت ، لذلك فقد آثرت أن تسلم نفسها لحزن أوديّ وجنون دوريّ اسمه طيف ابنتها الحبيبة التي كانت حديثاً عهدٍ بمتع الطفولة واللّهو عندما انضمت إلى لعبة "س.ص.ع" ، يومها لعبت معها لأول مرة في الشارع مع الصغيرات ، ودفعتها بحنوٍ نحو الأكف الصغيرة الناعمة ، ودوائر الريح والتراقص ، وجعلت من حرفة مراقبتها من شرفة منزلها متعةً لروحها ، وكادت تفكر بأن تنقل الفتيات واللّعبة والشارع إلى بيتها كي تكون ابنتها في أمان ، لكنّ "س.ص.ع" هي لعبة الحارات والأزقة ، ولا يمكن أن تُدجّن في بيوت مطبقة الأبواب ، مغلقة النوافذ ، ولذا فقد سهل على الموت أن يسرق ابنتها ، وأن يطعمها بشره لسيارة مسرعة مرّت من زقاق الحيّ ، واقتاتت جسد طفلتين ، ابنتها كانت إحداهما.

ورحل الموت بردائه الجنائزيّ المقيت ، وأسَرَ ابنتها في مملكته السّوداء ، وبقيتُ هي ربيبة الأحلام وطيف ابنتها المتفانت من عالمه السّفلي ، والمولع بلعبة الأقدام على الرّغم من ضبابيته العاجزة حتى عن ضمّ كفٍّ صغيرة تلعب .
تصمّم أحياناً على مداعبة طيف ابنتها ، وتقحمُ نفسها في حلقات لعب الصّغيرات ، وتُحادث الطّيف بانكسارٍ ، فترهبُ الصّغيرات ، فيهربن جزعات ، وتحوقل أمهاتهنّ ؛ إذ يشفقن على جارتهنّ الشّابة التي يداهما الجنون من حينٍ إلى آخر كلما سمعت أزيز لعبة "س.ص.ع" ، في حين تصمّم الصّغيرات على ممارسة لعبتهنّ المفضّلة غير آبهاتِ بجنون أمّ خسرت وحيدتها لأجل لعبة أقدام .

" لعبة الأقدام "

" من حقّ الأقدام أن تتمرّد على الأعراف والعادات والأحزان "

كان يوماً ما طراً ومشمساً وغائماً ومرعداً، وقائضاً وممطراً ومثلجاً، وتجتاحه عواصف ورمال صحراوية ، بالتحديد كان يوماً عادياً، ليس من بصمة طقسٍ مميزٍ تعلقه ، ولذا فقد سهّل أن يسقط من حسابان ثلاثتهم ، إذا كان فيه بذرة جنون ، وعوالق تمرّد ، وحفنة من أحزانٍ متدفّقة ، فكان حريّ به أن يجمع ثلاثتهم دون ترتيب معن في ذلك الزقاق ، كانت العرجاء حينئذٍ عائدةً من عملها في دورته الصّباحية من المستشفى ، وكانت المجنونة ذات الضفيرتين السّوداوين تلاحق طيف ابنتها الذي يكاد يغشى بفرح طفوليّ يهزأ بالموت حلقة الأيدي الصّغيرة النّاعمة ، أمّا هو فكان يراقب مجنونته الفاتنة ، التي غدا الجنون برزخاً يفصله عنها ما شاء لعمرئيهما أن يمتدّا .

ثلاثتهم كان مشغولاً بما يشغله ، وبأصوات الضّحكات ، وبترنيمه "س.ص.ع" السّحرية التي تضجّ بحرارة الزقاق ، والأقدام الصّغيرة الرّاقصة تعفر

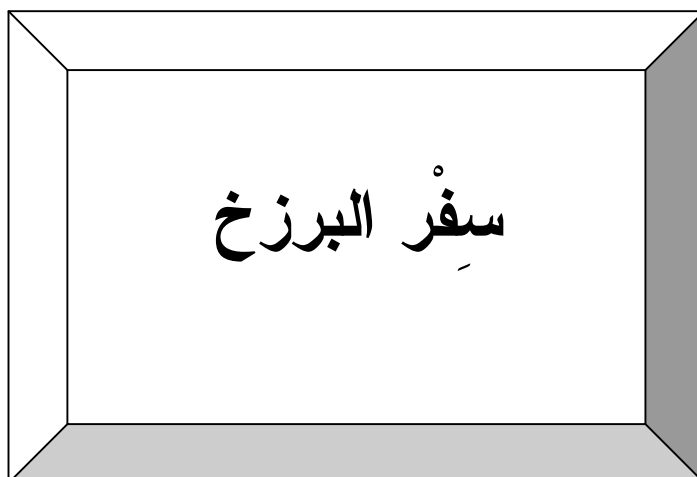
ترابه المزّ ، وتهيج غباره المنتن ، الطيف أول من دلف إلى حلقة اللّعب ، ثم داهمت الأم المجنونة الحلقة لتحضن الطيف الشقي ، فعلت الصغيرات مهمة ثم زمجرة ، ثم هربن لا يلوين على شيء ، فوقفت الأم كسيرة تمدّ يديها إلى العدم ، حين يقف هو بكرشه الذي نما بتغول في السنوات القليلة المنصرمة ، وبحزنه الذي شاخ ، وما شاخ صبوته ، ولا غادرته فتاة قلبه ذات الضفيرتين السوداوتين .

اقترب منها ، لأول مرة في حياتها تلمح كلام عينيه " أكان يحتاج إلى جنونها حتى تسمع حنينه وتقرأ أشواقه ؟" حدّث دهشة عينها بصمت .

هذه فرصته ليلاعبها، وليراقصها، وليدفن كفها في كفه ولو لمرة واحدة في حياته ، مدّ كفه بانكسار شحاذ حافٍ ، فألقمته كفها برضا كليم يمدّ جرحه لآسٍ ، وبقيت اللّعبة ناقصة ، تحتاج إلى ثالث - على الأقل - لتبدأ .

العرجاء بصايل حذائها المقومّ لقدمها العرجاء كانت ذلك الثالث الذي وهبه القدر لهما في لحظة تساهلٍ نادرة ، تعانقت الأكفُ الستة ، وبدأت رقصة لعبة "س.ص.ع" ، العيون كانت مشرقةً كنوافذ قمرية والرقاب مشرّبة ، والأرواح معلّقة في عرش السّعادة. رقص ثلاثتهم كما لم يرقصوا يوماً ، وعلت أصواتهم وهم يرددون بفرحٍ مستحيلٍ مداهم : "س.ص.ع لعبة الأقدام".

وغشيتهم بركات لعبتهم السّحرية ، وساحوا في دنيا النور والطفولة والأقدام المنكودة ، وفرحوا كما لم يفرحوا يوماً ، في حين بكى كثيرٌ من سكان الحيّ من لعنة الجنون التي أصابت ثلاثة أشخاص طبيين من خيار أهل الحيّ ، وحرّمت الأمهات لعبة "س.ص.ع" على بناتهم ، إذ بتنّ يتشاءمن من هذه اللّعبة اللّعنة التي تسكن الأقدام ، وتأكل القلوب .



سفر البرزخ

" هذا ما وُجِدَ منقوشاً بالخطِّ السّماويِّ اللازورديِّ الفاقع على جدار
البوّابة العُظمى في البرزخ " (٠)

" قصة الخلاص الأولى "

(من صفر إلى ...)

قرّر الإله العظيم من فوق عرشه الخالد أن يخلق كائناً جديداً ليعبده ، فخلق
آدم من أديم الأرض ، ثم خلق من ضلعه زوجه حواء ، وكانت الخطيئة البشريّة
الأولى ، وكان رحيل آدم وحواء إلى الأرض، التي هي صورة عن الجنّة، الخير فيها
في كلّ مكان ، وعين الله ترعاها ، ويدركها تسبيح الملائكة ، وتكاثر أبناء آدم
وحواء بالزواج وبالسّفاح ، ولسبب غير محدّد ظهر عتاة بقرون ذهبية ، وأجساد
بشريّة وسياط قوية ظالمة على باقي البشر ، فكانوا ساداتهم وملوكهم ، ومنذ تلك
اللحظة تفرّق الأخوة في الأرض ، فكان لبعضهم ريش النّعام للنّوم ، وغلائل
الحرير للبس ، وجواهر الموجودات ونفائس الكائنات والحجارة للزينة والتطيّب ،
وقصور مشيّدّة ، وجوارٍ حسان ، ولذيذ المأكّل والمشرب ، وبقوة ما كان لهم
السّلطان على باقي إخوانهم المستضعفين من أبناء آدم الذين أنكروا نسبهم ،
ونسبوهم إلى الشيطان أو الحيوان أو المجهول ، واتخذوهم عبيداً ، يسومونهم سوء
العذاب ، وكاد العبيد أن يستسلموا لقدرهم المنكود ، ويقروا بأصلهم الشيطانيّ ،

(٠) تحقيق وشرح العلامة " دام الدّهر سلمان " ، المخطوطة الوحيدة " تصنيف س م " من متحف " التاريخ المقدّس " في

وينسوا رسالة والدهم آدم ، وترنيمة أمهم حواء ، ثم شقَّ نورٌ تشكَّل على شكل إنسان يقودهم إلى النور ، ويعلمهم أنهم مسـتخلفون في الأرض ، لا عبيد عند عبيد الله ، فكان الغضب ، وكانت الثَّورة التي عصفتُ بقلوب العبيد ، وملأتها بنور سماويٍّ عجيبٍ ، انتفضتُ عليه آلاتُ العذاب ، وجماعاتُ الظلام ، وكانت حربًا عظيمةً ، انتصر فيها نور الكلمة ، وسقطتُ فيها الأوثان والجبابرة العُتاة ، وسُجِّل فيها أسماء المبشرين بعهد النور ورضا الرّب في سفَرٍ من زبرجد عُلّق ما بين السّماء والأرض على بوابة البرزخ، وكان الفصل بين الموت والحياة ، والهداية والضلال ، والمستعبدين ، والظلم والعدل ، ورددت السّماء : " إنَّ الله قد جعل الظلم محرّمًا على نفسه " ، فرددت الأرض : " الحرّية طريق العباد إلى الله " .

" قصة الخلاص الأخيرة "

(من ... إلى صفر)

رددتُ الأرض : " الحرّية طريق العباد إلى الله " ، ورددت السّماء :
 " إنَّ الله قد جعل الظلم محرّمًا على نفسه " هذه هي الكلمات الفصل في سفَر المبشرين بعهد النور ورضا الرّب ، الذي عُلّق ما بين السّماء والأرض على بوابة البرزخ ، فكان الفصل بين الموت والحياة ، والهداية والضلال ، والمستعبدين والظلم ، وذلك بعد حرب عظيمة ، انتصر فيها نور الكلمة ، وسقطت فيها الأوثان والجبابرة العُتاة ، في إثرِ ثورة العبيد ، التي عصفتُ بقلوبهم ، وملأت الأرض بنور سماويٍّ عجيبٍ ، انتفضتُ عليه آلاتُ العذاب ، وجماعاتُ الظلام ، بعد أن شقَّ نورٌ تشكَّل على شكل إنسان يقود العبيد إلى النور ، ويعلمهم أنهم مستخلفون في الأرض ، لا عبيد عند عبيد الله ، الذين أنكروا نسبهم ، ونسبواهم إلى الشيطان أو الحيوان أو المجهول ، واتخذوهم عبيدًا يسومونهم سوء العذاب .

وكاد العبيد أن يستسلموا لقدرهم المنكود ، ويقروا بنسبهم الشيطاني ،
وينسوا رسالة والدهم آدم ، وترنيمة أمهم حواء ، على أيدي أخوتهم السّادة
الذين كان لهم ريش النّعام للنوم ، وغلائل الحرير للبس ، وجواهر الموجودات
ونفائس الكائنات والحجارة للزينة والتطيّب ، وقصور مشيّدة ، وجوار حسان ،
وطيب المأكّل والمشرب ، وبقوة ما كان لهم السلطان على باقي أخوتهم
المستضعفين من أبناء آدم ، الذين تفرّقوا في الأرض ، وظهر فيهم عتاة من صلب
آدم بقرون ذهبية ، وأجساد بشرية ، وسياط مؤلّمة ظالمة ، وذلك بعد أن هبط آدم
وحواء إلى الأرض التي كانت صورة عن الجنّة ، الخير فيها في كلّ مكان ، وعين
الله ترعاها ، ويدركها تسبيح الملائكة ، فتكاثر أبناء آدم وحواء بالزّواج والسّفاح
؛ بعد أن خلق آدم من أديم الأرض ، وخلق له زوجه اسمها حواء من ضلعه ،
تنفيذاً لقرار الإله العظيم من فوق عرشه الخالد في أن يخلق كائناً جديداً ليعبده ،
ثم كانت الخطيئة البشرية الأولى !!! (*)

(*) هوامش المخطوطة :-

- ١- القصة الأولى مكتوبة بخط سماويّ مجهول.
- ٢- القصة الأخيرة مكتوبة بكلّ اللّغات البشرية ، ومؤرّخ بها تاريخ صراع البشرية وثوراته.
- ٣- القصتان إحداهما أصل للأخرى ، والله أعلم.
- ٤- هذا ما هدى الله عبده الفقير إليه " دام الدّهر سلمان " في زمن ما.

المفصلّ في تاريخ ابن
مهزوم وما جادتْ
به العلوم

المفصل في تاريخ ابن مهزوم وما جادت به العلوم

" التاريخ يكتبه المنتصرون ، وأنا منتصر بمعنى ما ، إذن من حقي أن أكتب التاريخ كما أشاء ، وها قد شئت " (٥)

(١)

" ابن زريق لم يمت "

جلسَ بفخرٍ متعالٍ لا يناسب إخفاقاته المتكررة التي كبدته خسائر جسيمة بالترقيات وساعات عمل إضافية مجانية حدّ تسلّخ إبطيه ، وتعفن أصابع قدميه في حذائه الرسميّ العتيد ، ولكن هذه هي لحظة الانتصار المنتظرة ، رقص رجلاً فوق رجل ، وقال بثقة فضفاضة تناسب ابتسامته شذقيه : " هذا هو الدليل " رفع المدير حاجبيه ثم قطبهما دون مبالاة ، وقال : " الدليل على ماذا ؟ "

قال باعتزاز من حلق فوق سوامق الجبال ووطئ الغيوم بقدميه : " الدليل على أن ابن زريق لم يمت . "

هزّ المدير رأسه ، وطوّح كتفيه كناية عن أمرٍ لم يفهمه الموظف ، وقال : " من هو ابن زريق هذا ؟ "

- " صاحب القصيدة العينية الشهيرة . "

- " أي عينية ؟ . " سأل المدير بصبر فارغ وتقرّر .

(٥) من خربشات ابن مهزوم نزيل رقم (٦) في عنبر الحالات الخطرة في مستشفى الأمراض العقلية والعصبية هنا أو هناك.

أجاب الموظف بحماس طفلٍ مدرسيٍّ ، وانتصب على قدميه ، وضمَّ فخداً إلى الآخر ، وشدَّ معدته بزفير عميق ، وقال جاحظ العينين يبذل جهداً كي لا ينسى ما حفظ :

الذي قال :

" لا تعذليه إنَّ العذل يولعه

قد قلتِ حقاً و لكن ليس يسمعه

جاوزتِ في لومه حدًّا أضرَّ

به من حيثٍ قدّرتِ أنَّ اللوم ينفعه

فاستعملي الرِّفق في تأنيبه بدلاً

من لومه فهو مُضنى القلب موجهه "

قال المدير باستهزاء بادٍ : " وماذا قال أيضاً ؟ "

قال :

" وإنْ تتلُّ أحدًا منا منيته

فما الذي بقضاء الله نصنعه "

نقر المدير بأصابعه ذات الأصابع الشجرية السمينية على زجاج مكتبه ، وقال : "

كفاك يا رجل : مَنْ هو ابن زريق هذا ؟ "

- " هو ابن زريق البغدادي ؟ "

سأل المدير وهو يراود غضباً يكاد يسحقه. " ومن هو ابن زريق

البغدادي هذا ؟ أهو عميل عندنا أم موظف ؟ تكلم سريعاً لا وقت عندي أبدده

عليك وعليه . "

- قهقهه الموظف قهقهة مصنوعة بدقة ، وقال : " بل هو لص كبير ، أراد أن يخدعنا ، بل ويخدع كلّ النَّاس والتَّاريخ والشَّعر الجميل وآلاف العصافير ، وجعل من القصيدة التي أسمعكَ مطلعها طريقه إلى ذلك ، لقد أثبتتُ تحرياتي السَّريّة أنّه كان شاعراً مغموراً وعاشقاً لعوباً وتاجراً فاشلاً في بغداد ، وبعد تحريرها على أيدي أمريكا الفاتحة بعد قرون من احتلال العراقيين لها قرّر أن يركب الموجة ، ويخدع الجميع ، ويستغلنا نحن الأمريكيين الطيبين ، أمّن على حياته في فرع شركتنا في دارفور ، ثم تسلّل بشكل غير شرعي إلى إسبانيا ، وادّعى أنّها الأندلس ، وموطن الأجداد العرب ، وأعدّ العدة ، وكتب هذه القصيدة المسروقة من متحف اللوفر منذ وفاة صموئيل شامير الذي كتبها عن معاناة شعبه إبان محارق النازيين له ، ومثّل دور الميت حزناً وكمدًا وهماً ، ودُفن في فناء مجهول ، ثم جاءت زوجته اللئيمة لتطالب بقيمة التأمين على حياته بعد أن نشرت قصيدته المسروقة على الإنترنت ، فتغنى بها العرب ، وطربت لها رمال الصحراء ، وسار بها الحداة وعازفو الربابة . وللحقّ كادت تخدعنا ، وتحصل على التأمين لتسعد به وذلك اللئيم ، لكن ذكائي بل وخبثي وأنفي الحساس لكلّ خداع كشف حيلته ، وعرف أنّ موته ليس أكثر من إقامة مشروطة في القبر إلى حين انتهاء مدة عقوبة فقره ، وأنّ زوجته اللئيمة بدأت تخطط من خوص دجلة والفرات غيوماً متلبّدة ، وكادت أسمع صريخ الرعد ، وأرى وهج البرق ، لكن في اللحظة المناسبة استيقظ صموئيل من قبره ، وأعلن ملكيته للعينية ، وفضح أكاذيب ابن زريق ذلك الأعرابي الجلف السارق ، عندها قبضت بمساعدة قوات التحرير الأمريكية على ابن زريق متلبساً بالموت في قبره ، وألزمناه بالغرامات ، وحرّمنا عليه قول كلمة " علوج " ، وإلى الأبد.

صمتَ الموظفَ ليرى أثرَ كلامه على وجه مديره الذي راعه مدى الشبه
بين قسماته وأحافير وجه خنزيره " بولي " ثم ازدد ريقه، وأخذ جرعة ماء من
كأسٍ أمامه.

فانتهره المدير قائلاً بتوتر : " ثم ماذا حدث ؟ بدأتُ أُعجبُ بكَ أيها
الموظف الذكي " .

استأنف الموظف بكبرٍ لا يليق بصفرته الشاحبة : " ثم استصدرتُ قراراً
قانونياً عاجلاً نظراً لمدى تضرر الشاعر الملهم صموئيل واستياء قبيلته التائهة في
ضفاف بلاد البحيرات بإعدام ابن زريق بقصيدته " .

- " وهل أعدم بحق ؟ "

- " نعم ، بالتأكيد " .

- " أحسنت وماذا بعد ؟ "

- " استرددتُ من وراثته مال التأمين ، علماً بأننا لم نكن قد دفعناه لهم أصلاً " .

- " رائع . ومن دفعه ؟ "

- " دفعه كلُّ عربيٍّ أحمق حفظ عينيته المسروقة " .

- " رائع !!! وماذا بعد ؟ "

- "وردتني آلاف التقارير من مصادر موثوقة تُفيد بأن ابن زريق بحق هذه

المرّة لم يمت !!! "

(٢)

شهريار يتوب

كانت غلطة كبيرة جعلت شهريار يدفع سمعته ثمناً لها ، بل ويدفع ألف ليلة وليلة من السّهر المضني والمتواصل محبوساً مع نزير الماء والطعام في مخدعه السلطاني الذي يحرسه السيّاف المرتشي مع زوجته الثرثارة شهرزاد ، ولولا ستر الله ، ودفعه الفتنة بالحكمة ، والتمردّ بالحلم ، لكان رأسه الآن متدحرجاً بعيداً عن جسده ، وملقىً عند قدمي زوجته الغيورة الثرثارة شهرزاد ، وما أبعد من اسم عن ودّ قلبه !! فما هو إلا اختزال لكلمتي " شرّ " و " زاد " ، فهي الشرّ كلّهُ قد زاد عن حدّه ، وتوجّ قباحة خلقتها وسوء معشرها ، وقاتل الله الطّمع ، فلولا طمع شهريار بالمال المزعوم للوزير عفار والد شهرزاد، لما كان متورطاً بها الآن ، ولكان حظّه من المتعة مع جواريه الألف عوضاً له عن كلّ المال والسّلطان ، ولكن الطّمع ضرّاً ما نفع ، وفرّق ما جمع ؛ فالكوارث تهلكه ، ويبقى القرد في وجه صاحبه الطّماع ، وها هي القردة شهرزاد في وجهه.

تستطيع شهرزاد أن تُلْفَق آلاف القصص والأكاذيب عن جمالها المزعوم وثقافتها الواسعة وحكمتها المنشودة ، ولكنّ المرايا لا شكّ ستفضح كذبها ، والجهل سيضع حدّاً لأكاذيبها ، ولولا زكاؤها الذي يشهد به شهريار ، ويعضّ عليه بالنواجذ لكانت الآن نسياً منسياً كما هو الآن في قصره وفي سلطنته منسياً وألعوبةً في يديّ زوجته المخادعة.

منذ أن انتهت الليالي الألف التي منعتها شهرزاد من النّوم فيها ، وأقامت عليه الحرس والعيون، وألزمته بالاستيقاظ والسّماع إلى حديثها المقيت دون انقطاع ، وإلاّ فرأسه الملكي النبيل سيكون ثمناً لعصيانه الوحيد لزوجته وهو يعاني من أرقٍ ملازم ، وتعجز أقراص النّوم وأقراص المهديّ عن أن تدفعه إلى مدينة النّوم. وها هي شهرزاد

تغط في النوم هائلة سعيدة بعد أن تم لها كل ما شاءت ، وملاّت الدنيا قصصاً وأكاذيب ، وجعلته أضحوكة وألعوبة ، ورسمته في أذهان العامة على هيئة السّاح الدّموي الجاهل المغرور، وها هو الآن يساهر نجوم السّماء، ويتميّز غيظاً بسبب ديك الصباح اللّيم الذي يذكره بمعاناته اللّيلية الألفيّة، ويذكره بخطيئته الكبرى المدّعاة التي ساقّت البلاء إليه.

كان يوماً شمسيّاً قائظاً عندما دخل عليه نخّاس القصر اليهودي يزفّ إليه جارية فُلقت من القمر في ليلة اكتماله في ليلة صيفيّة ، جمالها أطار لبّه ، واشتراها بألف ألف درهم، وما كان ذلك بالكثير إذا ما قورن بجمالها وسحرها وأنوثتها، وقد أمل في أن يجد في جوارها السّعادة التي رحلت عن حياته منذ أن دخلت شهرزاد مخدعه ، ودست أنفها الكبير المقوّس كأنف صقر في شؤونه وشؤون دولته، ولكن الويل كان في حضورها، فما كادت عينا شهرزاد تدركانها ، حتى جنّ جنونها ، وأصابها هوس القرود ، وإلحاح البراغيث والقمل والبق ، واتهمته بالسّفاهة، وتبديد أموال المسلمين ، وحجرت عليه ، وأغلقت يديها دونه ، وكادت للجارية، وأودعتها الأرض حيّة في صندوق خشبي مغلق ، الشيطان نفسه يعجز عن فتحه، ومن ليلتها كان البلاء، فقد شرعت شهرزاد في ثرثرتها التي امتدت ألف ليلة، وغلقت الأبواب، وخلعت ستر الحياء، وطفقت في حكايا وألغاز وعبر، تذكره بها بكلّ خطايا البشر، وتصفه بكلّ نواقصهم، وتضرب له الحكم، وتجسّد له الشرّ كلّه في جاريته الدّفينيّة حيّة، وتلومه وتقرّعه وتبكي وتنتحب وترقص وتقفز وتستلقي وتكسر وتتوعّد وتسبّ وتشتم وتعصّ وتضرب بالقبقاب ، وبعد ذلك ليس في يدي شهريار المسكين إلا أن يستسلم ، ويتوب عن خطيئته ، ويستجدي شهرزاد المغفرة ، ويضرب رأسه ينعليه ندماً على ما أخطأ وفرط، ويخلص إلى حكمة مفادها: " حمارٌ من يتزوج امرأة ثرثارة غيورة وقبيحة كشهرزاد لا سيما إن كانت تجيدُ نسج القصص " (١).

(١) وأدرك شهريار الصّباح ، فسكت مجبراً عن الكلام المُباح ، وطلب له الدفاع المدني لينقله إلى مستشفى السلطنة في حالة إنهيار عصبي حادّ.

(٣)

جالاتيا مرة أخرى

أخذ بجمال يون نفساً عميقاً بقدر ذلك الغور المظلم في أشجان روحه التي
 أوهنها الغدر ، وأضناها الشوق إلى امرأة تعشق منه العظيم ، وتقدر أنامله
 السماوية القادرة على حفر البشر في الصخر ، والتغني بأنه أمهر نحّات في الدنيا
 ، والتغاضي عن عيبه الوحيد والخطير ، فما قيمة فحولة منشودة سرعان ما يبدها
 الكبر أو يبريها المرض والجوع والتعب أمام موهبته النادرة كقطرة عسل في
 جوف نملة، والسامية كدمعة إله إغريقي نبيل ؟ لكن النساء الحمقاوات لا سيما
 الجميلات منهن قد آثرن عضواً شبقاً رقيقاً على موهبته الخالدة ، وزهدن به
 وبكل ما صنعت يداه هبة الإله زيوس. وقد عضّ طويلاً على ألمه وجوعه
 الجسدي المستبد بكبريائه المكلوم ، ورضاه المصنوع من الحجر الصلد، ولكن حنقه
 قد كاد يفتت روحه ، ويطيّر النور المقدس لإبداعه ، وما وجد سبيلاً لكي يزفر
 غضبه خلا أن ينحت بيديه حنقه على نساء الدنيا جميعهن على شكل تمثال يحوي
 كل نقائص المرأة ، ويتمثل كل عيوبها الجسدية ، ويستحضر فيها كل ما يُنفّر
 ويقرز ، ويزهد حثالة الرجال وعفونتهم بامرأته التمثال المسخ.

وها قد انتهى من تمثاله الأمثلة الذي نحتته عارياً ، تفوح منه رائحة صنان
 إبطيه وبوله إذ تبول عليه كثيراً انتقاماً منه لعضوه المهزوم. وها هو غضبه أمامه
 امرأة صخرية عرجاء كتعاء عوراء سمينة ، بجلد قشري مشوّه ، وشعر قنفذي
 مترجع حتى نصف الجمجمة ، وبأذن واحدة مشروخة ، وأنف مجدوع ، وفم
 مهشم الأسنان ، ممزق الحنايا والثايا ، وبنظرة عميقة فيها رعب عجيب كأنه حفر
 بإبرة في بؤبؤ لين ساعة ظلمة روح أبدية.

أنعم بجمالين النظر طويلاً في تمثاله الانتقام ، ثم تنهّد بعمق أو هن خلجات روحه المعذبة بآلام الثأر وويلات سوء العمل ، وغالب ندمًا جارفًا في نفسه ، فغلبه ، ثم لعن بقوة فتنة النساء ، وربّة جمالهن وحبهن أفروديتا الخالدة السّاحرة ، وبصق على تمثاله ، وكان ينبغي أن يبصق على نفسه ، وفي لحظة خيانة لخيانته لروح جمال الفنان الذي يسكن يديه ، ويملك عليه روحه وإبداعه ، أقسم على أن يهجر فنه عقابًا لنفسه على ما أنتجت من دمامة وبشاعة ، وما أتلفت من جمال طبيعي هو مهجة الرّوح ، وربيع القلب ، استغفر طويلاً آلهة الحبّ أفروديتا التي سبّها ، وتناول عليها مرارًا وتكرارًا ، وتمنى أن تكون متسامحة معه بقدر جمالها ، فتغفر له خطاياها ، فجمالها الأخاذ يتسع لكلّ مذنب الدنيا ، وأمل نفسه بالمغفرة المنشودة ، وخذ إلى نومٍ قائنٍ في نيران هزيمته، وأسدل جفنيه كي لا يرى مسخه الصّخريّ الذي حُفر لسبب ما في جدار خاطره ، ودائم تذكره.

وخمّن بجمالين أنّ أجزانه كافية لمسح خطيئته ، لكن أفروديتا كانت متعطّشة للحرز من نقيع ندمه وحزنه وغضبه النّزق ، وقررت في لحظة انتقام سماويّ أن تشعل جذوة الحياة في صدر جالاتيا المرأة التّمثال كي تجعل أنفاسها عذابًا موصولاً لا ينقطع لجمالين المتبجح ، وهمست في أذنها بكلمة العشق الكبرى ، فنطق وجيب قلب جالاتيا باسم بجمالين ، الذي بُعثت كي تعشقه ، وضحكت أفروديتا كثيرًا ؛ لأنها ضحكت أخيرًا ، فهي تعرف أنّ عشق امرأة دميمة لمبدع عظيم يشقيه أكثر آلاف المرات من صدّ امرأة جميلة وإن كان صدّ رفض لا تمنع ، وخذلت للنوم في صدفاتها البحريّة فوق زبد البحر ؛ لأنها ستسهر طويلاً فيما بعد لتراقب عذاب بجمالين على يديّ جالاتيا العاشقة المسخ.

(٣)

(أ)

سهرتُ أفروديتا طويلاً لتشهد بحسدٍ مُحرقٍ سعادةً بجمالِيونِ الذي سعد
أخيراً بالعشق الخالد على يدي امرأته المسخ ، وفكّرت بجديّة أن تتوسّل
لجمالِيون لينحت لها رجلاً مسخاً خلُق لكي يكون عاشقاً لها.

(٣)

(ب)

باءت كلّ تدابير جمالِيون بالفشل ، ورأتُ جالاتيا وجهها في مرآة قديمة في
قبو قصر جمالِيون ، لم تستطع أن تتطّق بكلمة واحدة بعد ذلك ، وسقطت ميتة
بعد أن تحجّر قلبها حزناً ، وتبيّست أطرافها ، وتصلّدت وشائجها ، وتحولت إلى
صخرٍ أوهاه الحزن ، فخرّ رملاً سرعان ما ذراه الريح الذي انطلق في رحلة أبدية
لا تعرف نهاية ، وغدا يستمتع بمطاردة جمالِيون له في أصقاع الدّنيا، ويطالبه برّد
رذاذ معبودته جالاتيا.

(٤)

مسرور المجنون

وقف مكبلاً أشعث أغبر عارياً من أيّ سلطة أو نفوذ أو سيف بل ومن
 حذاء مصفد بين يدي مولاة السلطان حبر الدم ، الذي علّمه عشق الدماء ،
 واحتراف اشتهاؤ الرؤوس المقطوعة والرقاب المتكولة ، وأورثه شبق الموت
 ومضاجعة الأجساد الميتة.

في نفسه تضجّ رغبة واحدة تملك عليه منافذ حسّه ، وتغلق أذنيه دون
 أصوات المطالبين برأسه ، والوافدين إلى قاعة الملك ليشهدوا محاكمته العادلة
 المزعومة على سفك رأس أو بضع رؤوس اشتهى نصله أن يذوقها ، فأذاقه إيّاها
 حباً وكرامة.

فأصبح مجرماً في عشية وضحاها ، وغدا مسروراً المجرم بعد أن كان يرفل
 ببركات اسم مسرور السيّاف المرافق الدائم للسلطان الذي لا يعرف سوى لغة
 الدّم المسفوح ، والرقاب المهاجرة ، والأجساد المطعمة للنّار.

مولاة السلطان هو من علّمه شهوة القتل ، وهو من وضع السيّاف في يديه
 أوّل مرة ، وهو من لقّنه فنون التّمّع بالموت ، وهدر قدسيته ، والتغاضي عن
 توسلات المستضعفين وأنات المظلومين ، لقد خرس تماماً منذ أن تعلّم لغة
 السيّاف ، وأصيب بالصّم منذ أن طغى صوت سيفه على كلمات الحق ، فغدا
 أخرس أصم دموياً ، فارتاح وسعد وأسعد سلطانه به ، وأنزل البشر جميعهم عنده
 في منزلة البهائم ، يحقّ له ذبحهم متى ذكر اسم الله على رقابهم.

لو لم يمرض السلطان لأيام ، وينقطع عن جولاته، لما آل إلى ما آل إليه، فقد
 حُرّم متعته بمرض السلطان ، ومرّت عليه أيام دون دم مسفوك ، وعيون جزعى
 ، وفرانس مرتعدة ، وحلوق مفصودة ، وألسنة متدلّية خارج الأفواه .وفي ليلة شبه

مقمرة استبدت به رغبته ، فلبس ملابسه على عجل ، واستل سيفه الجائع ، وطارده المجهول حتى أدركه ، فذبح بسيفه أول وثاني وخامس وتاسع من وجد ليلتها في طريقه ، إلى أن انتهت ثورة قرم سيفه ، فعاد إلى كوخه راضياً مرضياً، وركن إلى سيفه الحبيب ذي النصل الأحمر يضمه، ويقبله، ويمارس معه أجمل متع الفراش ، وحق له ذلك ، أليس سياف السلطان !؟

يحدق طويلاً في وجه معلمه الأكبر المسمى السلطان ، يرقب بتقزز تلك الأجساد العفنة الخائفة دائماً على رقابها ، فتفر من أمامه كالفران ، أو تتملقه كبزاقات قذرة خبيثة يطيب له أن تعلق في نعله.

يرثي لتلك الرقاب التي تجهل جمال لحظة الانعتاق من الهموم والانفصال عن أجسادها إلى الأبد، والتمرغ في تراب الحريرة ، ونشوة الاضطراب والحركة. من جديد تجتاحه دورة الاشتهاء الشبقة لسيفه ولممارسة هوايته الوحيدة به ، تغريه رقبة السلطان المثقلة بقلائد الجمان والماس ، والمترعة بحمرة الصحة والرقاهية ويخضور ماء الورد وفتات المسك ، تتلبسه قوة جبارة تجعله يحجل بقيوده ببسر ، ويفجر أصفاده بقوة حركة زنديه المتباعدين عن بعضهما بقوة سعيه الهمجي إلى هدفه الدموي ، يستل سيفه الملقى على الأرض متهماً منبوذاً مثله ، وبضربة نجلاء يقطع رأس السلطان ، فيتدحرج بين قدميه مودعاً جسده المتخبط بشدة في دمائه ، الساجد لأول مرة عند أقدام العبيد والمتملقين والمستضعفين والمنكودين والمظلومين.

يعلو المكان هرج ومرج ، وتضج سعادة منتشية في جسد السياف ، ويسجد الجميع للسلطان الجديد الذي بز من مكانه ، وظهر على العرش ، فيما يسجد مسرور للسياف الذي يعبد ، ويغرق في ضحك هستيري محموم.

(٥)

معروف الإسكافيّ

يستطيع الاعتراف بأنه يسقط في الحكايا هكذا دون ترتيب أو قصد أو حاجة ، حتى ذلك الدّور الخالد الذي لعبه في ألف ليلة وليلة ، وبوآه الشهرة ، وفتح له أبواب المجد ، وكتب اسمه في سفر الملوك والسلاطين والقادة وعظماء المحاربين والعلماء كان محض صدفة. فما كان يبغى أدواراً في حكايات وليالٍ، ولا شهرة في القصور والمخادع ودور الوراقين والمستشرقين، إنما كان سعيه في سبيل إيجاد حلٍّ لمشكلته المستعصية ، فأبى رجل يملك قدمين عظيمتين كقدميه عليه أن يفكر جدياً بحلٍّ لمشكلته، فهما سبب بلائه ، وطول عنائه ، وعظم مشقته ، فعظمها الأسطوريّ جعله ألعبوبة الصبّية ، وأضحوكة الرّجال والنساء ، وحرمة من أن يلبس حذاءً جديداً كان أم قديماً.

فأبى إسكافيّ سيفكر بصناعة مركب جلدي ضخم ليكون حذاءً له ، وكم من ماعز سيحتاج إلى جلدها ليفعل ذلك ؟ وكم من الليالي سيقطع في صناعتها ؟ الأمر أعزّ من أن ينجز أو يفكر به لا سيما لفتى مُعدم مثله ، أخطأه الجاه ، وتجنبه الغنى، وهجره النسب والحسب ، وفاته تعلم صنعة ماهرة ، أو إتقان حرفة حاذقة ، لذا فقد خطّ في كتاب حظّه النكد ضحك العيش ووجع القلب.

وكان الصّدّ من الحبيبة ، والقطيعة من الأصدقاء والأهل ، والنّفور من الصّحبة والجيران واسطة عقد البلاء لا أوّل ولا آخرة، إلا أن صدّفه الحظّ أو عثر به أو اصطدم به عندما داس دون قصدٍ بقدمه العظيمة على قدم كهرمان شهرزاد ، وكاد يسحقها ، فأمطره بوابلٍ من الصّراخ والسباب والتوتر ، ثم الاعتذار ، ثم جاء العرض الذي غير حياته وقلب حياته رأساً على عقب ، فقد أوحى قدماه الكبيرتان لكهرمان شهرزاد بفكرة مذهلة، فوظّفه للتو والسّاعة

إسكافياً في حكايتها المشهورة ألف ليلة وليلة ، وأسند إليه مهمة صناعة الأحذية ومقارعة الوحوش، وتغيّر القدر ، ومجادلة الطغاة الجبابرة ، وأسرّ قلوب العذارى والحسنات ، كل ذلك على أن يبرز قدميه في كل مشهد من مشاهد الليالي ، ليستكمل به اللوحة العجائبية الأسطورية لليالي التي حققت أرباحاً خيالية ، وانهاه عليها القراء والدارسون من كل أقطاب الدنيا، وعتبات الأزمان معجبين مفتتنين بها ، ووافق معروف فرحاً على هذا العرض السخي ، وأصبح بقدميه الكبيرتين رمزاً لفتى أحلام كل فتاة في السلطنة ، وسعد بتهنيدات الحسنات وزفرات العذارى كلما لاح وجهه في مكان أو ضمه مجلس أو جمّع أو شارع أو زقاق ، وشرع يفخر لأول مرة في حياته بقدميه الكبيرتين اللتين أحرزتا له ما لم يحرزهُ تاج سلطان، وطفق يمطرهما بالمسك والعنبر، ويغسلهما بماء الورد ، ويتفنن بربط أصابعهما بالشرائط الملونة ، التي تبرز مفاتن ضخامة الأظافر، وجماليات انحناءات تلبّذات اللحم والشحم فيهما ، وتتناسب مع تسلّخات جلد أديمهما.

وأخذ يعدّ العدة ، ويدّخر المال كي ينتج بنفسه ليالي أخرى ، ويسند إلى نفسه فيها دور شهر يار ، ويُسمى نفسه شهر يار الإسكافي، وقد ينجح في إقناع الملكة شهر زاد الفاتنة بأن تلعب أمامه دور البطولة النسائية في تلك الليالي ، من يعلم قد ينجح في ذلك في ضوء سحر قدميه ، وجاذبية رائجتهما ، وإمكانات إبداعهما.

(٦)

السندباد السماويّ

درس السندباد كلّ العروض المقدّمة له منذ نفاذ مال منحته الاستكشافية لدراسة البحور السبعة ، ومناقشة أطروحته لنيل درجة المغامر الأوّل في اكتشاف البحار وأعالي الأنهار والأهوار من جامعة البصرة للموجودات الأسطورية ، وقد نال درجة التميّز مع وسام الكذب السردّي ، ودرع اللؤلؤة المفقودة للخيال البحريّ. وأفرغ جزءاً كبيراً من خبراته وأبحاثه العلميّة وسيرته البحثية في كتب مهمة ، على رأسها ألف ليلة وليلة ، ثم عُيّن برتبة رئيس ديوان القصص والمغامرات ، وبعد تقلّده وسام المحاربين القدامى تطوّع للمشاركة في حروب التحرير في جنوب أفريقيا وأواسط أمريكا الجنوبية ، ثم عُيّن سفيراً للنوايا الحسنة ، ثم تطوّع في جيوش حفظ السّلام في كلّ مكان اشتعلت فيه الحرب في المعمورة ، وفرح بقوة بقبعته الزرقاء ، وطرح جانباً عمامته الخرافيّة ذات ريشة طائر الجنّة ، ومرجانة ملك الجان.

ولكن مهمته الأخطر كانت رئاسة حملة بحريّة بتمويل سرّي من القصر السلطانيّ بدعم من (البنّاغون) للبحث عن قارة أمريكا ، ليتمّ استعمارها من جديد ، وكانت مغامرة بحرية مثيرة تغطيها الأقمار الصناعيّة ووكالات الأنباء الدوليّة عبر مراسليها متعدّدي اللّغات والمواهب ، وإن كان ذلك قد حرّمه من متعة مقابلة الكائنات البحريّة الأسطوريّة ، أو مغازلة حوريّات البحر اللواتي يكرهن فضول الصّحفيين وعيون الكاميرات الملحاحة. ونجح أخيراً بمهمته ، واكتشف أمريكا من جديد ، وأعلن (البنّاغون) بفخر عن نجاح مهمته في البحث عن أمريكا التي ضاعت في البحر بعد حرب كونية رهيبية ، وأكد أنّ ذلك قد تمّ بخبرات أمريكيّة وعقول وطنية دون الاستعانة بأيّ غرباء لا سيما من

أصحاب العمامات الصّحراوية المتوحّشة !!! وما كان هذا التصريح ليحزن السندباد بقدر حزنه لعدم صرف كافة حقوقه المادية المترتبة على هذا الاكتشاف ، وانضمّ إلى صفوف الباكين على أطلال الهنود الحمر الذين أُبِيدوا من جديد على مذابح آلهاتهم (البنتاغون) ، إذ كان يحمل في صدره تاريخاً من الأطلال الدارسة وملاحم الأرض اليباب ، ومعارك الأبطال مع مقامات السراب.

وعكف السندباد نفسه على إكمال دراسته للأحياء في جامعة شينو للخدمات المصرفية ، وأفاد كلّ الإفادة من مختبرها الذري المتطور ، وأجرى كافة أبحاثه لينتج طائره الخرافيّ الذي طالما حلم به ، فصنعه من جينات دجاجة وخلايا حوت وبرمجيات مُدمّرة بحرية، وخمّره في مفاعل نووي عملاق إلى أن استوى بيضةً ، ثم فقسّت منها دجاجة ضخمة ، بجناحين خرافيين ، فأسمّاه الرّخ ، تيمناً بالماضي الجميل ، وامتنى ظهره ، وحلّق في سماء الحرية حيث لا حرّية ، وطار غير نادم وبقرار مسبق مبيّت لم يرد به تقرير أيّ مخابرات دولية إلى أرض الحكايا، وهبط في الرحلة الثانية من رحلاته في كتاب ألف ليلة وليلة، ونسي كابوس اكتشاف الأرض الجديدة ، وانبرى يبحث باهتمام عن اسم مثير لطائره الرّخ ، وبعد جهد وعناء وتفكير وتدبّر وإقبال وإدبار أسماه الرّخ طائر السندباد السّماوي.

(٧)

حذاء سندريلا

لم تحظَ سندريلا بأيّ تربيةٍ قويمّة تُذكر ، ولولا جمالها الآخاذ الذي ورثته عن والدتها المومس التي أغرت والدها ، وتزوجته ثم ولدت له سندريلا ، وسرقت ماله وفرت مع عشيقها الماجن لكانت سندريلا لا تساوي قشرة بصلّة، وما وجدت طريقها إلى قلب وليّ العهد الأبله المأفون الذي استطاعت أن تُرقّصه كدمية بلهاء أنّى شاءت ، ثم أن تتزوجّه لتغدو سيّدة القصر الأولى بكثرة الإنفاق بالصّور المبتوثة لها في الصّحف والمجلاّت والإنترنت، فكبّدت الدولة خسائر لا تكاد تُطاق ، فطاف حماها الملك على كلّ البلاد يستجدي ، ويطلب المنح والعطايا ، واضطر أخيراً إلى أن يقيم حفلة الاستقبال هذه، ويدعو الأمراء والأثرياء والسّقراء إليها، ليشاركوا في مزاد على قطعه الأثريّة ومجوهرات العائلة المالكة ليبيعهها ، ويسدّد بثمنها جزءاً من مديونية دولته ، فيحميها من الإفلاس والفضيحة ، وكلّ ذلك بسبب زوجة ابنه المقيّنة سندريلا.

لقد حلّ الخراب على قصره وعلى ابنه وعلى قلبه الذي أصيب بأكثر من جلطة منذ أن ظهرت ستندريلا في حياتهم ، ويقسم لو أنّه كان يعلم أنّ الويل سيكون على يديها ، إذن لأمر جنوده بقتل كلّ فتاة وطفلة في المملكة ، وقضى على لعنة اسمها سندريلا التي خدعته وخدعت ابنه وليّ العهد ، وخدعت الرواة والمحدّثين والمؤرّخين عندما أقنعت الجميع بأنّها فراشة رقيقة ملوّنة خرجت للتو من شرنقتها بكلّ براءتها وطهرها ، وأنّها ضحية يتمها وجمالها، وكيد زوجة أبيها العاقر التي تفضّل رعاية كلبها السلّوقي على رعايتها ، واحتالت لنفسها حتى سلبت قلب الأمير الغرّ الذي ما استطاع أن يقاوم جمالها الفنيقيّ النادر.

من صميم قلبه تمنّى لو أنّ سندريلا تتغيّب عن حضور هذا الحفل ؛ فهو ما عاد يطيقها تتمايل بخيلاء بالجواهر وفاخر الثياب بعزیز ماله ، وهو يتسوّل على

أبواب البلاد والسلاطين ، لكنّها -كعادتها- تطير إلى أيّ حفل يلوح لها لتعرضَ جمالها ونفائسها.

حضورها شغل الحاضرين ، وحذاءها البلّوريّ السّاحر كقطعة كريستال فاخرة صنعتها الجنّ ومهرة الصّناع الحاذقين ألهمتْ ألباب الحضور وهم يحاولون أن يخمنوا ثمنه الذي يربو على ثمن كلّ ما تلبس نساء الحفل جميعاً مجتمعات من جوهر ، شتّف الملك أذنيه لتخمينات المشغولين بحذاء زوجة ابنه المتلافة ، وعندما سمع الأرقام الخياليّة المفترضة ثمناً له ، ورأى حمرة الإحراج تعلو وجه ابنه كلّما كبّدت زوجته نفقات جديدة ، شعر بحسرة حارقة في حلقه ، وطغى ركل قلبه لصدرة على صوت موسيقيّ الحفلة ، وشعر بدوارٍ مغثٍ ، وسقط مغشياً عليه عند حذاء سندريلا.

(٨)

شمشوم الجبّار

.....
.....

.....

(٩)

العذراء الذبيحة

.....
.....

(٢)

(١) هذا الباب محذوف من التاريخ لأسباب أمنية.

(٢) هذا الفصل مُصادر لأسباب عشائرية.

(١٠)
ثورة اللّصوص

(١)

(٢)

(١١)
الخييل والماء والنّار وما يزرعون

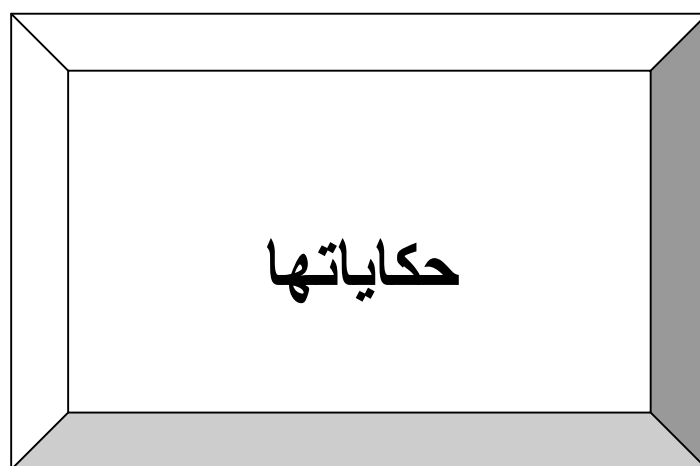
(٣)

(١) هذا الباب ورد باسم(ثورة الجائعين)لكنّه عدّل بقرار شريف من الباب العالي.

(٢) هذا الباب معلق حتى تعديل عشائر لأسعار الخبز، لاسيما خبر الفقراء.

(٣) قائمة المراجع والمصادر:

جميع مصادر الكتاب ومراجعته محتجزه على ذمة التحقيق في وقائع إرهابية لإساءتها لديانات أخرى وطوائف مسكينة!!!



حكاياتها

(١)

الحكاية الأم

لا يستطيع الادعاء بأنه يحبها، ولذلك سيقتل أي رجل يقترب منها، كما فعل أخوه قابيل الذي قتل أخاه هابيل ليخلو له قلب أختها راحيل ، ولن يخدع نفسه، فيقول إن أخته جميلة إلى حد لا يقاوم، ولن يزعم كذلك أنه يريد أن يصطفئها لنفسه لأنها أثيرة أبويه، أو صاحبة مال أو موهبة نادرة، لكنه يريد أن يحصل عليها كي يكسر أنفها الأفطس الذي يشبه أنفه تماماً، ولا عجب فهي توأمه، ولكنه يمقت أنفها المتعالي الذي كان يزحم عليهما المكان في رحم أمه حواء، وهو الآن معني بتحطيم كبريائه، ولو كبده ذلك غضب الرب، وفطر قلبي والديه آدم وحواء من جديد بعد مقتل ابنهما هابيل منذ دهور طويلة.

يتربص بأخته ذات الأنف المتعالي وعزة النفس المقيتة، يحيك بمهارة خيوط المؤامرة، ينقض عليها في سكون الليل، وهي تسعى لقضاء حاجة في الخلاء حيث الخفافيش والعراء، ولا وجود لأحد، يستعدي عليها الأخوة الجاهلين، فيجز رقبتها، ويهشم أنفها الأبى بحجرٍ باشتهاء واضح، وينعاها لوالديه، ويطعم جسدها للضواري والكواسر، فهي قد أهدرت شرفها وفق زعمه، فاستحقت الموت بعرف طقوس الدم المتوارثة.

(٢)

الحكاية النموذج

١:١ : احتاج إلى مبلغ من المال، فسطا للمرة الألف بقوة الذراع ودم الأخوة المزعوم على مالها، وعندما قررت أن ترفض استنزافه المقيت لها، وقالت: لا . عاجلها بطعنة سكين بقرت بطنها، واخترقت أشلاءها، فانزلق جنيها أرضاً بين قدميها مطعوناً بطعنة أمه التي دفعت حياتها؛ لأنها قالت لأخيها الظالم: لا، ولأنها امرأة وصمت العائلة بوصمة العار المزعومة، وأهدرت شرفها، كما قال خاله في محاضر التحقيق الجنائي، فصدقه الناس والقانون، وكذبوا الجنين المطعون.

١:٢ : أراد أن يضم إرثها إلى إرثه، فرفضت بقوة وإصرار، فكسر لها ضلعاً، فنبت لها ضلعان، منعها الطعام، فأصيب هو بفقر الدم الحاد، رزمها متاعاً، وقرر أن يبيعها لصديق لا يملك إلا ذراعاً عاتية، وعضواً ذكرياً متحفزاً، وعقلاً صغيراً لا يُثقل عليه، فرفضت ذلك، وهربت مع الرجل الذي تحبّه، وتزوجته، ومن جديد طالبت بإرثها، فطلبها الأخ صاحب الدم الحار والعضلات المفتولة والمروءة المتعلقة، وعدا على بيتها، وحزّ عنقها، وتبجح قائلاً: إنه ما عارها الذي لا يُمحي إلا بالدم الذي غلى في مرجل غضبه بانتقاد متوحش عندما أسقط في يديه، وعلم أن القاتل لا يرث من قتل.

١:٣ : كم حاول أن يقرن كلمة إلى أخرى، ولكنه فشل في ذلك المرّة تلو الأخرى، في حين كانت هي عرابة الكلمات التي تغزلها بإتقان ويسر على مغزلها السحري، كتب كثيراً، وكتبت أكثر، طار نجمها، وحطّ نجمه من غير عل، عرفها الناس، وجهلته الحروف، أزد وأرعد وزمجر، ولكن ما طاوعته الكلمات، كتبت عن حرمانها، فدبت الحياة في كماتها، وغدت أشباح

علاقات محتملة مع رجال قد كانوا، قرأ ما كتبت، فوجد مبتغاه فيما قرأ، حاكمها بمنطق الخيال، لا بجرم الحقيقة، ذنبها بألف حالة عشق، وألقى القبض عليها في حزن ألف رجل، ثم حاكمها على عجل، ونطق بحكمه المنتقم من سعادتها الوهمية، ومن تفوقها عليه هو الأخ الرجل الرفيع القدر في أسرته وفي قبيلته، وهي الأخت المرأة الأقل شأنًا.

تسلل إلى غرفتها، وذبحها، فأطلقت ثغاءً مخيفاً هزّ المكان، وأيقظ رجالها أبطال قصصها ورواياتها، داسهم جميعاً، ومزق كل ما كتبت انتقاماً من تفوقها عليه، وسخطاً على ملكة الكتابة التي تملكها، في حين حرم هو منها، وبالطبع غسل بذبح أخته النعجة ثوب شرفه المزعوم الذي لطخته أخته الأثمة الخاطئة التي فرطت بشرفها المصان.

٤:١: امرأة هي وفق كل معايير الذكورة والمجتمع الأبوي، هادئة، مطيعة، لا تحتج، لا تبكي، لا تطلب. تجيد فنون الطبخ والحياسة، وتعد بأن تقدم نفسها شهية له في كل ليلة بعد طبق الحلوى المفضل عنده، وتوافق على الزواج به؛ لأنها دجاجة أو عنزة بيتية مطيعة، وتذهب زوجة مع الرجل الذي يريده والدها وأخوتها.

لكن الزوج رأى في عينيها أشباح فضيحة، وابتسامة هازئة تندت من صمتها المخيف، ولمح في غضب بصرها قرصاً من عجزه، وتلويحاً بكشف ستره، ومعرفة سبب فشله مع تلك الأجنبية الشقراء التي طلقته سريعاً، وأخذت شطر ما يملك، وجلّ كرامته.

كان عليه أن يسكتها إلى الأبد، حاول أن يسكتها بالإشباع، فأعياه عجزه، حاول ذلك مراراً ولأيام كثيرة، لكن دون فائدة، غاظه صمتها، واستفزز جسدها المثير رجولته الراكدة المتخاذلة، فانقضّ عليها في لحظة غضب،

وقتلها، ومزق عذريتها ورقبتها بسكينه؛ لأنه قرّر أنّها قد وهبت نفسها لغيره، ولا أحد يستطيع أن يكذّبه، فهو الزوج الربّ، وإذا قال صدق، وما لأهلها إلا أن يأخذوا جسدها المكفّن بالعار، ويدفنوه بعيداً عن الزوج الفحل الشهم!!! فالذنب كلّه كان ذنبها، فهي من اختارت زوجاً عاجزاً جنسياً.

١:٥: اعتاد على أن يروي عطشه عبر تلك اللحظات المشحونة بالمتعة المسروقة من فيلم إياحي أو مجلة تعرّ، يستجمع كلّ فحولته المزعومة، ويهبها دفعة واحدة لامرأة متخيّلة، فتخدم رغبته المحمومة إلى حين، لكن جسده العاتي أراد أن يبتلع امرأة حقيقة في هذه اللحظة، لم يجد أمامه إلا ابنة أخيه التي ودّعت الطفولة للتو، وانتضت ثديين كسيفين، وملامح أنثوية قادمة، تفرّسها برغبة، وانقضّ عليها، فامتصّ أنوثتها حتى روي، ونسي جريمته، لكن الجنين الذي حملته سفاحاً صرخ في أحشاء أمّه الطفلة منبهاً لوجوده.

اجتمعت الأسرة، واهتزّت الشوارب الغاضبة، وأغلقت الأبواب والنوافذ والستائر! وحُجبت النساء، وكانت المحكمة؛ ولأنّها الأضعف، فقد كان الحكم ضدها، إذ ليس من العقل أن يضحي بالرجل الجائر، وتترك المرأة الطفلة الضحية! فاقتادوها إلى العراء حيث قُتلّت بدم باردٍ جزاءً على فعلتها الشائنة، إذ هي دون شك من أغرت عمها البريء كحملٍ وديعٍ بالاعتداء عليها، وقد أخذت جزاءها وفاقاً، وأراحت وارتاحت.

١:٦: طالبت أمّها طويلاً بأن تُعالج ابنتها من داء السير ليلاً، لكنّ أحداً لم يعرها أنْ اهتمام، فلا أحد عنده وقت لأخت تسير ليلاً، لكن الجميع يملكون أيدي موت عندما يتعلّق الأمر بإعدام أختٍ وُجدت نائمة على الأرض

بالقرب من غرفة جار أعزب يسكن سطح العمارة المجاورة بعد أن أعيأها السير وهي نائمة.

حزموها بسرعة وبقرف، وألقوا بها من شفا جرف، فخرت أرضاً ميتة، فغسلت بذلك شرفاً ادعى الأخوة أنه تلوث هدرأ، وشفيت تماماً من داء السير ليلاً وهي نائمة.

١:٧: جلس إلى مقعده الفاخر على منصة مرتفعة بعد أن لبس وقاره وحزمه وعدله المزعوم، كان عليه أن ينطق بكلمته الحكم الفيصل في قضية أولئك السادة اللصوص الذين تاجروا بأعراض المستضعفات والمغلوبات على أمرهن من النساء لا سيما تلك الفتاة الغرّ التي هتكوا عرضها عبر مؤامرة قدرة، كذلك كان عليه أن يقول كلمته العادلة في قضية ذلك الأخ الهمام الذي انتقم لهدر عرض أخته على يد سبعة رجال عتاة، تكاثروا عليها، فغلبوها على أمرها بأن قتلها، وتركهم يعيشون فساداً وعهراً في الأرض.

تتحنح القاضي بشكل مصطنع، واستجمع نفسه، وشدّ عباءة القضاء على صدره، إذ كان يشعر بالبرد، وحكم ببراءة الأخ الذي انتقم لشرفه، وقتل الأخت الضحية، وترك الذئب تسعد بصيدها الثمين، وتضجع في الشمس ريانة شبعانة إلى حين وقعت في يد القضاء، الذي بدا رحيماً معهم مقارنة بمحكمة الأخ المنتقم لشرفه المهودور على يد ذئب سبعة من أخته ليلي ذات الرداء الأحمر، والبراءة الشفافة، والحكاية الدامية.

١:٨: في عروق كلّ منهما يجري دم أحمر قانٍ يحمل كبراً وغيره ورفضاً للخيانة، فإن ضجّ في شرابينه سُمّي أخو شرف، وإن ضجّ في سويداء قلبها سُمّيت قاتلة آثمة، وما كانت لتبالي بذلك، فقد ألفتها في حزن صديقتها المقربة، يسافدها الغرام، فقتلتها في لحظة غضب، وانتصرت لنفسها، وانتظرت أن

ينتصر لها القضاء، إذ كانت تدافع عن شرفها كذلك، إلا أن القاضي الرجل لا يستطيع أن يرى الشرف إلا في قطعة لحم بين فخذي امرأة، وخلاف ذلك فهو جريمة، ولذلك فقد أرسلها سريعاً بمذكرة إعدام مستعجلة إلى العالم الآخر؛ لأنها قاتلة آثمة.

(٣)

الحكاية المأساة

تتشابه تفاصيل كل الحكايات المأساة، إذ تعلقت بشرف زُعم أنه هدر على يدي امرأة خاطئة، إذ تقول الحكاية دائماً^(*): "...وهكذا خسرت شرفها... والشرف المهدور لا يعوّضه إلا الدم المسفوك... فتسلل نكر، ما اسمه... في ليلة معتمة... وقتلها... فغسل بدمائها شرفه المطلخ بالعار. وسلّم نفسه للقضاء، الذي كان به رحيمًا، ولموقفه متفهمًا، فحكم عليه بشهرٍ من العمل الشاق، وبغرامة مقدارها قرشٌ لا غير... فأرواح المخطئات لا تساوي الكثير...".

(*) التفاصيل الصغيرة لا تساوي شيئاً إذا تشابهت النهايات.



قاموس الشيطان

قاموس الشيطان (*)

الألف : أَحَدَثَ

أَحَدَثَ فِي النَّاسِ بَدْعَةَ سَرَقَتْ أَلْبَابَهُمْ ، وَأَلْهَبَتْ مَخِيلَاتِهِمْ ، وَفَتَّقَتْ قَرَائِحَهُمْ عَلَى الْجَمَالِ وَالرَّقَاهِيَةِ. طَرَدَهُ عَظِيمُ السَّهُولِ ؛ لِأَنَّ لَوْنَهُ الْأَسْوَدَ لَا يَلِيْقُ بِجَوَارِي قَصْرِهِ الْبَيْضِ ؛ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ طَرَدَ مَعَهُ حَيَاةَ الرَّقَاهِيَةِ الَّتِي كَانَ يَجِيْدُ فَنَوْنَهَا، وَيَنْتَقِنُ أَطَايِبَهَا، فَاسْتَقْبَلَهُ الْجِبَالُ الْعَظِيمَةَ ، وَأَنْزَلَهُ مَقَامَ التَّقْدِيرِ ، فَوَهَبَهُ كَوْوَسًا زَجَاجِيَّةً ، كَانَتْ شَفَافَةً لَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلِ فِي سُلْطَنَةِ الْجِبَالِ ، وَقَالَ لِعَظِيمِ الْجِبَالِ بَلْؤَمَ : " عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ بِمِثْلِ شَفَافِيَّةِ هَذَا الزَّجَاجِ ؛ لِتَسْتَمْتَعَ بِطَعْمِ الشَّرَابِ فِيهِ " .

أَخْلَصَ عَظِيمُ الْجِبَالِ لَوْصِيَةَ صَانِعِ الرَّقَاهَةِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَشْفَى كَالْبَلُّورِ ، وَعِنْدَمَا عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ أَمَرَ بِتَعْتِيمِ زَجَاجِ السُّلْطَنَةِ ، فَذَلِكَ أَجْدَى لِلْمَتَعَةِ ، وَأَكْثَرَ مَلَاءِمَةً لِلْوَنِ عَمَلُهُ وَقَلْبُهُ وَتَارِيخُهُ الْعَظِيمِ !!! .

الباء : بَدَا

بَدَا الْمَرَضُ غَرِيْبًا فَتَاكًا ، يَهَاجِمُ الْأَجْسَادَ بِشِرَاسَةِ مَخِيْفَةٍ ، وَيَلْعَنُ الْمَاضِي ، فَيَأْكُلُهُ بِتَوَدَّةٍ مَخِيْفَةٍ. بَدَأَ بِحَالَاتٍ مَحْصُورَةٍ فِي صَفُوفِ أَوْلَائِكَ الْمَطْحُونِينَ بِالْمِ الشَّقَاقِ وَالْفَقْرِ وَالضَّعْفِ ، ثُمَّ تَسَلَّلَ إِلَى آخَرِينَ مَهْصُورِينَ فِي أَيْدِي الْحِيْرَةِ وَالضِّيَاعِ ، ثُمَّ عَضَّ نَابًا زَرْقَاءَ فِي أَجْسَادِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَاللَّقَطَاءِ وَأَصْحَابِ

(*) (عليك أن تردّ الكلمات إلى أفعال الألف ، ثم تجرّدها من أكاذيبها ، فتحصل على المعنى الحقيقي للكلمات في عُرف جحيم الشيطان .

العاهات والمجانين والمنبوذين والمعتقلين، ثم بدأ يتفشى في صفوف العامة والخاصة . كان يبدأ بصداع وحزن رهيبين ، ثم يتحوّل إلى اضطرابات في النوم والأكل والتبرّز مع ارتفاع واضح في الحرارة والقلق؛ إلى أن يصبح سلوكيات جسدية ولفظية عدوانية ، ثم يشوّش الذاكرة ويعطلّ الفهم ، إلى أن ينفذ إلى العيون ، فينسج مادة هلامية بيضاء شبه زرقاء على نوافذها ، فتحجب الرؤية ، فتتلبّس المريض حالة هستيرية قصيرة ، تدلفه بسهولة إلى عالم الخدر والنسيان ، فينسى الماضي ، وينسى ما كان وما لم يكن ، وما كان يجب أن يكون ، ويتبرّأ من كلّ أدرانه وجرائمه ومعاصيه ، ويخلع أحزانه وأمنيته وماضيه ، ويقطع صلته مع كلّ حاضره ، ويهيم في عالم الهذيان والخيالات، فيسعد ، ويُسعد ، وينضمّ طائعاً راضياً إلى ضحايا " طاعون النسيان " ، حيث تتبني دول كوكب الأرض برامج توعية لكلّ المرضى ؛ لتقنعهم بأنهم أغنام ، في غياب ذاكرة تسعفهم بحقيقة أنّهم من بني الإنسان.

التاء : تاه

تاه في عاصفة ثلجية غشيت الجبال حيث يسكن شأنها في كلّ موسم ، اعتادت سنونه التسع على الثلج ، ولكنها لم تألف جليد مشاعر والده البارد كالصقيع، فقرّر أن يبحث عن الدّفء ولو في قلب الثلج ، تمعطف بغضبه ، وانتعل نزقه وطيشه ، وتزوّد ببوصلة قديمة كي لا يضلّ الطريق ، وهرب من البيت ، وقصد أعالي الجبال ، فما وجد قلب الجبل المنشود ، ولكن غشيه صقيعه ، وجلّت روحه التي تكاد تتجمّد في أتونها الغاضب سكينه الموت وجبروت البرد ، فسقط مغشياً عليه في الثلج ، واستسلم للموت ، الذي فاجأه بوقاحة واستهتار واستفزازٍ لئيم ، فجاء الموت يغذّ الخطى ، وكاد يلتقمه لولا يدان دافنتان

خطفتا غنيمته منه اسمهما يدا أب ، ومنحتا من دفق دفئهما عزيمة للصغير البائس المستسلم للموت ، الذي أدركه سهوم المفاجأة ، وعالجت نفسه دموع الندم ، فأدرك أنه صغير بحق لا يعرف معنى حبّ أبٍ تتمطّى أصابعه بخجلٍ في خصلات شعر ابنٍ له ، أبٍ دفعه إلى حماة حنان صدره ، وحمله بين يديه لينقذه من عاصفة ثلجية عجيبة ، فقد كانت أنامله دافئة إلى حدٍ أذاب جليد قلب الصغير المتمرد ، وأسلمه لمواقيت تدفق حنان الأبوة ، التي دنا قطافها — على حين غرة — من كروم القلب ، في أوقات الأزمات والشدائد ، وتبخل بعزير جناها في غير أوانه أو مكانه.

الثاء : ثلثا

ثلثا نهاره كان يقضيه في شرفة منزله ، أو في حديقته الغناء التي تضجّ بالزهور وعشرات الأشياء القديمة التي آن موعد الاستغناء عنها ، ولكنه ما زال يعطيها مهلة ما لعلّ طارئ حاجة يدفعه إلى استثمار بعضها في حاجة أو غاية ، يراقب تلك المرأة غريبة الأطوار ، التي تغفل عن الدنيا وما فيها ، وتزهّد بكلّ شيء إلا بزهور حديقتها وطيورها الأليفة ، فتنفق الوقت تعتني بها ، وتستدرك موتها بوجودها ، بعد رحيل الأحبة ، وحصدّها الصمت والجمود والرتابة .

بدأ عادة مراقبتها بدافع الفضول ، ثم بدافع تبديد الوقت ، ثم غدا الأمر طقساً من طقوسه السريّة المحبّبة إلى نفسه ، ثم لسبب — يجهل تفسيره أو تخونه الكلمات في سبيل ذلك — قد غدت مراقبتها متعة الروح وخوخة حديقة الانتظار . حاول أن يقترب منها ، فصدّته . حاول بإصرار أكثر ، فنفرت منه بشدة . فرض نفسه عليها ، فجفلت بكبرياء عجيب ، فعزّى نفسه بأنّها غريبة الأطوار ، واستمرّ بمراقبتها بصمتٍ وتخفٍ ، وإن كان يجزم دائماً للأصدقاء بأنّها

غريبة الأطوار ، ويضحك هازئاً من أسئلتهم الخبيثة عنها ، فيستعرض حنايا جسده ، محاولاً إخفاء صدوع أمنيته ، وانهيارات انتظاره ، وذلك الألق العجيب الذي يسكن عينيه لساعات كلما راقبها ، ثم تلوح في ذهنه بأسى جريح سلوكياته الغريبة والشاذة في اقتفاء آثارها ، وفي مراقبة سلوكياتها ، والتجسس على خصوصياتها ، فيستولد ابتسامة رديئة الصنعة على وجه فضحه الشحوب ، ويقول ساخراً : " حقاً كم هي غريبة الأطوار ، وهذا ما لا يعجبني فيها ."

الجيم : جمعهم

جمعهم دم واحد ، ورمال واحدة ، وزعيم واحد له السؤدد ، اعتادوا على أن يغضبوا إذا ما غضب، وأن يرضوا إذا ما رضي، وأن يركبوا إذا ما ركب ، وأن ينزلوا إذا ما نزل ، وهو اعتاد على أن يكونوا ظلّ إرثه الصّحراوي الزاخر بالرمال والثارات وآلاف الأحقاد ، وحفنة أرامل وأيتام ضعاف يُمكن أن يهصرهم بزفرة واحدة من زفراته ، فكان شأنه الرضا عن سؤدده ، والقبول برضاه ، إلى أن أصابتهم لعنة فارس منهم شبّ عن الطوق ، وقرّر أن يعرف فيما يغضب سيدهم ، ليختار الغضب أو عدمه ، ولكن الوقت لم يسعفه ، وسيف الزعيم لم يمهله ، فمات وأورث الغضب لألف من فرسان القبيلة الذين غضبوا لأول مرة ؛ لأنهم غاضبون ، وحملوا السيف ؛ لأنهم قرّروا أن يسألوا !!! فأرّخ بقرارهم تاريخ موت السؤدد المزعوم.

الحاء : حالته

حالته العصبية والعقلية تستدعي أن يمدد إقامته الجبرية في مستشفى المدينة العسكرية ، هذا ما قرره رئيسه العسكري المباشر ، وصادق عليه طبيب المستشفى مرغماً كقط مبلول ، وهو لا يبالي بهذا التقرير ، ولا يضيق ذرعاً بإقامته الجبرية ؛ إذ لا يجد فرقاً بين مجنون محبوس خلف أسوار المستشفى ؛ لأنه يسعد بقوة بقتل الكلاب المدللة لرؤسائه في العمل انتقاماً منهم لأمر في نفسه ، وبين مجنون خارج الأسوار يحمل بندقية وشارات عسكرية على صدره وكتفيه ، ويقتل أبرياء وعزل باسم الرب والوطن والحق ، بل وباسم الشيطان لغاية في نفسه. يهز كتفيه بلامبالاة ، ويرقص قدمه من فوق قدم في سريره القديم ، وينتهر من حوله من مجانيين مثله ، لا يجيدون فنون قتل البشر ، ويومئ إلى طبيبه المعالج بحاجبيه ، ويدعوه إلى الاقتراب منه ، ثم يقول له بحذر وثقة : أتصدق أن المجانين في كل مكان حتى في مستشفى المجانين !؟

الدال : دللها

دللها والدها كثيراً، ووثق بها، فاعتادت على أن تكون في النور ، وأن تفعل كل شيء في النور، ثم مات مدللها والمؤمن بها، فجاء عهد الكافرين بها، اسموهم أخوة ، لكنهم يحفظون طقوس الشيطان ، ويبرون بقسمهم له، كرهوها، وكرهوا تدليل والدهم لها ، بقدر ما كرهوا قبس النور الذي تعيش متسكة في قدسيته ، جلدوها وجوعوها، وربطوها في قبو بيتهم ، لكي يسجنوا فضيلاتها خلف الأسوار ، فهي برأيهم من تصنع شرف المرأة ، ولأنهم غير مسجونين خلفها، فقد كانوا يقتاتون على شرف الآخرين ، ويدفعون من عزيز مالهم ووقتهم

كي يستمتعوا بدم الشرف المسفوك ، وقرّوا عينا بحكمتهم ، وما دروا أنّ العائشة في النور قد غدت – منذ أن جلدت وحبست في قبو المنزل – من عاشقات الظلام والليل ، ومن مانحيهما لكلّ مُشتهٍ يدفع ثمنهما.

الذالّ : ذاتي

ذاتي لا أجدها ، ويبدو أنّي قد أضعتها ، لذلك فأنا أبحث عني ، ومن يرغب في أيّ تفاصيل عني أستطيع أن أمده بها؛ لعلّه يوفق في أن يجدني ، أنا أعرف اسمي وجميع أرقام أوراقي الثبوتية ، وأحفظ عن ظهر قلب جميع معلومات وثائقي وشهاداتي، وأتقن قراءة أية خارطة مصالح وأية إشارة فساد ، وأشتمّ بدقة رائحة الجنايات والانتهاكات والتجبر ، لكنني لا أعرف أيّ شيء عن ذلك الضائع مني ، لذلك فأنا معنيّ بالبحث عني ، حتى أجدي أو أضيّع عن طيب خاطر الجزء المتبقي مني ، فقد يكون ضياعه هو الطريق إلى أن أجدي.

الراء : ردفاها

ردفاها أهمّ خرائط الدنيا في عيون عشاقها من الرجال ، الذين يحفظون تقاسيمها وهضابها وأهوارها وقبابهما أكثر مما يحفظون من تقاسيم وجهها المنسيّ ، فهما قد شغلا الدنيا أكثر من اشتغالها بمقدمة ابن خلدون مثلاً.

هي مغنية مجدّدة؛ فهي أوّل من نقلت الغناء من الفم إلى الأرداف ، وأثبتت أنّ السّماع يكون بالعيون الشبقة ، لا بالأذان المشنّفة للصّوت الجميل ، وللحن الدافئ والأداء الصادق ، فوجب أن تحفر صورة ردفيها في سفر الخلفيات ، فهذا مكانها !!! ولا غرو إذن في أن يخرج آلاف من عشاقها غناء ردفيها ليستقبلوها في مطار عاصمتهم ، ويدوسون في طريقهم ذلك المجاهد الذي عاد من معتقله بعد

سنينَ يحمل ذكريات من نار ، ويرثي سنواتٍ مسروقة ، ويفخر الدّنيا بإيمانه بتضحيته ، ويبحث عن إحدى قدميه ، فيتذكر بصعوبة أنه خلعها مجبراً منذ سنين في ساحة الجهاد ، فيكاد يرثيها ، إذ هي فقيدةٌ غالية في عصر الأرداف !!! ويركن إلى أقرب حانوت ، كي لا تلوكة الأقدام كما داسته منذ دقائق في مظاهرة استقبال سيدة الأرداف الأولى ، ويتأتى بقوة وهو يطلب من عامل المتجر أن يبيعه حلوى من النوع الرّخيص.

الزّاي : زائر

زائر هو كلّ من يدخل المعتقل عند أبي الفوارس الذي لا يملك من أخلاق الفوارس إلا فحولتهم المتشجّنة دائماً ، ولأنّ الزائر يجب أن يُكرم ، فقد نذر نفسه لاستقبال زوّاره من الحمقى الثائرين والسياسيين ، يجرّدهم من ثيابهم، ويوثقهم بذل، ويجبرهم على ابتلاع عضوه قبل أن يغتصبهم على مرأى من جنود المعتقل ، فيسعد إلى حدّ الثمالة بصراخ ذكورتهم المذبوحة ، ورجولتهم المسلوّبة في حربهم لاستردادها، ويعود منتشياً إلى رئيسه الأعلى الذي اعتاد على أن يسافده في كلّ ليلة ، بعد أن يعرّيه، ويجلده ، ثم يدسّ في جيبه المال وفق متعته في تلك الليلة. ثم يعود أبو الفوارس إلى بيته لينزوي في زاوية منه ، ويبكي بحرقة من زوجته التي توسعه إهانة وتهميشاً ، وتجبره على تقبيل مداسها ، وتتجاهل بلّوم أنه أبو الفوارس !!!

السّين : سنين

سنين عمره قضاها في ذلك المكان المظلم الرّوح والقلب لجرم ما عاد يذكره ، وتلك الفجوة المنسيّة في حائط سجنه هي أنيسه وثروته ونافذته على العالم ، هي بمقدار استدارة إصبعين من أصابعه ، يجهل كيف قُدت في جدار السّجن الصّلد ، وكيف غفلت عنها عيون الحراس ، فما طمسوها أو أغلقوها ، لكن حسبه أنّ القدر سخرّها له ، لتكون عينه على عالم ما خلف أسوار سجنه حيث باحة السوق القديم. اعتاد على أن يرقب النّاس منها ، واضيقها فقد كان حظّه مما يرى عبرها أنفاً أو عيناً أو فماً، وفق ما تتّسع الفجوة لرؤيته اعتماداً على حجمها ، فألف لغة العيون، ونفرات الأنوف، وإيماءات الأفواه، وفكّ رموز معانيها ، فأجاد من خلالها سبر الشّخصيات ، ومعرفة الطبائع والأحوال النّفسية للنّاس، وراهن على موهبته التليدة في معرفة النّاس ، وإنزالهم منازلهم بحق عندما يخرج من السّجن الذي فارقة بعد سنين طوال لا يعرف لها عدداً ، وتركته يتحسّر على ما سرقت منه من شباب الجسد ، ونضارة الوجه ، ومرونة الحركات ، وما وهبته مكرهاً من وافر التجاعيد ، وأبيضاض الشّعْر، لكنّه أدرك أنّ شيئاً عزيزاً قد فاته في سجنه إذا لم يستطع أن يمارس علمه الذي تعلّمه في سجنه في حضور مجتمع للأنوف والأفواه والعيون ، فقد كانت جميعها تُجيد التضامن والتعاقد في سبيل الخداع والكذب والغشّ .

الصاد : صمودهم

صمودهم مدعاة للفخر والافتداء ، أسماؤهم يحفظها كل عشاق البطولة ،
 صورهم تعلق في صدور أضرحة الأبطال والشهداء ، يتحدثون باسم الثورة ،
 ويقسمون بتضحية أبرارها ، يحفظون كل تواريخ البطولات والتضحيات
 والحروب المكللة بغار النصر وحناء الشهادة ، ويطرزون بأوقات فراغهم سيرهم
 الماجدة ، ويأخذون تعويضات الثورة ، ويحصدون مكاسبها ، ويقومون بنصيبهم
 منها ، وهو جني ما زرعه الأبطال ، إذ هم رؤساء الثورة وقادتها وأبطال حروبها
 ، ولكن من منازلهم !!!

الضاد : ضمّ

ضمّ يده إلى صدره ، وانتزع من ثنايا دثاره خنجرًا ، وغرزه في قلب صديقه
 النائم ، فاستل روحه ، وسطا على ماله ، ووطئ زوجته المتواطئة معه ، وعندما
 أدرك أن سرهما سيفتضح على يدي إحدى الصديقات المخلصات للزوج
 المغدور عمد إلى مطارقتها ، والتضييق عليها ، بغية كتم الحقيقة ، لكن أمره
 وعشيقته الخائنة افتضح في النهاية ، وجرّ إلى المشنقة حيث كان غاضبًا بقوة من
 مصيره المشؤوم. وانتهى بذلك الفيلم السينمائي الذي قام ببطولته ، لكنه بقي
 منزعًا لأيام من المصير الذي آل إليه في الفيلم ، إذ كان يدرك بصمت وإخفاء
 حاذق أنه على حقيقته أمام الكاميرات ، و كان هذا سرّ نجاحه وسعادته بمهنة
 التمثيل ، فيها يكسب الشهرة والتقدير والمال جزاء وفاقًا على شره ، ويمارس
 حقيقته دون خداع وتزويق وتمثيل وتكلف ، أمّا في حياته الحقيقية له فهو ملزم
 بالتمثيل طوال الوقت ، وهذا ما جعل منه ممثلًا شهيرًا وإنسانًا شقيًا.

الطاء : طال

طالَ انتظارهم لهذه التجربة التاريخية الفاصلة في تاريخ البشرية ، التي ستقضي على النواقص والهتات والتشوّهات ، وستخلق الإنسان النموذج المثال ، لسنوات طويلة عملوا في هذا المعمل من أجل هذه اللحظة ، أحصوا مناقب البشر ، وحصروا خصال جمالهم ، واستبعدوا من خرائط الجينات كلّ قبّيح أو شاذ ، ووقفوا على أدقّ أوصاف الجمال ، وشروط الملاحظة ، وأسباب الفتنة ، واستحضروها في ذلك الطفل الاستثنائي الذي سيكون طفل البشرية الأوّل الكامل ، وعلى مثاله سيكون كلّ البشر فيما بعد ، وأخلصوا سنوات أخرى للبحث والاستقصاء والتحسين ، إلى أن كان مولد الطّفّل المعجزة ، والأب الشرعيّ لكلّ البشريّة المنتظرة ، فكان أمثلة لكلّ جيل ، عنده أجمل مفردات الفتنة ، وكافة الأعضاء وفق أرفع درجات الجمال والحسن ، ويلبّي كلّ أذواق البشر ، ويستحضر مقاييس الجمال في كلّ الدنيا ، كان خليطاً من كلّ الأذواق ، وسفيراً للرغبات والأحلام ، وخالصة لكلّ الأمزجة السويّة والشاذة والمتطرفة ، ومزيجاً من كلّ السلالات البشريّة ، بل سلالة بشريّة هجينة جديدة ، فهو مسخ مخيف يحوي كلّ جمال البشر دفعة واحدة.

الطاء : ظاهر

ظاهر القرية هو مكانه المفضّل لكتابة مقالاته الفكرية في شتّى حقول المعرفة ، التي يجيد التّظهير فيها ، ويجهل علومها ، وحقائق معلوماتها ، فمهنّته هي التّظهير ، وطلبته هي الكلمات والشّعارات الرنانة والعبارات البرّاقة المصنوعة بدقّة ، عليها غُذي ، وبها يعيش ، وبها يموت الآخرون.

لا يستطيع الكتابة إلا في ذلك المكان حيثُ الشمسُ الجميلة والخلوة المفيدة ،
والمكان المواتي للتبرّز والتبولّ والتغوّط، للدّقة هو مكانه المفضل؛ لأنّه يمارس فيه
أجمل فعلين في حياته في آنٍ واحدٍ ، ودون تحرّج : الكتابة وطرح فضلات الجسد.
فيكون إخراج سلس ومنتظم ، وتكون مقالاته وكتاباتهِ برائحة منتنة ، ووجود
مقزّز ، ثم يغلفها بالكلمات القشبية ، والمعاني العظيمة ، فيستر خبثها بخبثه ،
فتحصل الرّاحة له إلى أن يحتاج إلى الخلاء ومنتعة الإخراج فيه من جديد.

العين : عقدوا

عقدوا النية على تحرير وطنهم المسلوب ، ورسدوا له الأعمار والمهج
وخبايا الرّوح ، وبروج الأمنيات ، ونسجوا من زيتوناته ومن مقل عيون شهدائه
ومن حفيف قلوب أمهاته جسر الصّمود والنّضال ، فكان الدّرب الطويل المستعر
لأجل وطنٍ كامل لا منقوص ولا مجزوء ولا مسلوب ، ثم بقدره قادر قهار جبار
تقلّص الوطن السليب في حكم ذاتي ، ثم في مدينة يحكمها أخٌ قائد أضرب عن
الطّعام والنساء وصلاة الفجر ، ثم أصبح مخيمًا تعصف به المكاره والنّوائب ،
وترثيه وحوش الخرابات ، ثم اختزل بعد حميةٍ وطنيّةٍ إجباريّةٍ في صورة بطلٍ مات
دفاعًا عن تخوم جسد ولده الصّغير المحاصر برصاصات جنودٍ يكرهون الأيدي
الصّغيرة والآمال المقبلة مع الفجر ، إلى أن دخل الوطن في غرفة العناية الحثيثة
لإنقاذه من ذبحةٍ صدريةٍ قاتلةٍ ألمّت به دون سببٍ محدّدٍ !!!

الغين : غيوم

غيوم السماء هي فقط من أنفت من الوقوف في طابور المعونات الهزلية التي تقدمها عاصمة النار تكفيراً عن خطاياها ورزياها ، منذ سرقت شمس أرض النور، وزرعتها في أكف الغرباء ، فشردت الآمنين في مناكب الأرض ، وطوحت بهم إلى ما بعد حدود الماء ، فكادوا يتلاشون ما بين حدود الصحراء والماء ، ويدوبون في تخومهما ، إلا أن العدالة المتوجة على رأس تماثيل عاصمة النار اقتضت أن تمتد إليهم أيدي العون ، وأن تلتقط لهم آلاف الصور التذكارية التي تبرز وبر خيام تشردهم ، وترصد ماقي أحزانهم ، وآهات توجداتهم ، ونيران حرمانهم ، وثماناً بخساً لوطنهم المسلوب ، فقد وهبت كلاً منهم صكاً تشرّد يضمن لهم طعاماً معلباً رديئاً وقمحاً وشعيراً وشراباً وكسوة معجونة بالذلل الذي يوقفهم طوابيراً كريمة في انتظار صلات صك التشرّد عاصمة النار التي يطول انتظارها، أليس عليها أن تمرّ على كروش من جمعوها وحصلوها ثم من أحصوها !!!؟ فيبتلعون منها ما يطفئ قرم بطونهم ، ثم تمرّ على الموظفين الدوليين في عواصم عدّة ، فيسرقون منها ما يسرت لهم القوانين الواهية والسرايب الخفية أن يسرقوه، ثم تمرّ على الحكومات الوطنية والتكتلات الشعبية والهيئات الخيرية ، والموظفين الرسميين في ثغور البؤس ، ومخيمات الحزن ، فتختزل إلى النصف أو نصف النصف ، أو نصف نصف النصف ، إلى أن تتصفي في القليل النزر من الفئات والبقايا وما استبقته أيدي الطامعين للإبقاء على المهجرين على قيد الحياة، ثم ترمي للواقفين في طوابير البؤس، يطالعون غيوم السماء ، ويطلبون عون من جعلها تحلق في البعيد، ثم يحصون هباتهم الحقيرة، ويحزمونها في خرقهم القديمة ، ويضمونها إلى صدورهم بأيدي مرتعشة تعجز عن أن تمتد إلى عيونهم لتمسح سائلاً جنازياً اسمه الدموع.

الفاء : فايز

فايز كان رجلاً من هذا الكوكب ، لا تعنيه تفاصيل حياته أو نسبه أو معيشتة ، بل لا يكاد يجزم أنّ اسمه فايز ، لكن هذا الاسم تداعى إلى ذهنه لعلاقته الضديّة مع حاله ، إذ هو الخاسر ، لكن يكفيه أن يدرك أنّ فايزاً سرق حلمه الذي ما عاد يذكره بالتحديد ؛ لأنّه سرق معه جزءاً من ذاكرته التي كانت على شكل أحلام وأمنيات ، ولكن ما يفجعه في كلّ أحلامه المسروقة وذاكرته الموقودة أنّ فايزاً استطاع أن يسرقه لا لغفلة أو بلاهة أو حرباً شريفة، بل لأنّه يملك من الغنى والسلطة والنسب الرفيع ما يعدم هو ، لذا حلّ له سرقة حبة عينه ، وفراشة قلبه ، ومن يومها احترف سلب حبات عيون الآخرين ، وإحراق فراشات قلوبهم ، فقد جدّ وعمل وباع وبيع حتى أصبح اسمه فايزاً.

القاف : قانون

قانون بلا روح هو جثة بلا حياة ، المكان الوحيد له هو القبر والظلام والانتها ، بهذا آمن ، لذلك فقد وهب حياته للقانون ، ولنشره ، وأوضاع أجمل لحظاته الأسرة ، وأعزّ لقاءات الأصدقاء ، وأهمّ مناسبات الوطن وفعالياته كي يخدم القانون الذي كان ناموسه وحياته ورسالته ، وتقلّد لإخلاصه له أرفع أوسمة التقدير ، ولكن عندما فشل قانونه في أن ينصف ابنته المغتصبة ؛ لأنّ من سرّق عزيزها هو من فئة من هم فوق القانون،الذين يعدّون القانون شبك عنكبوت، تعلق فيها الحشرات الضعيفة ، وتفتك بها الطيور الجارحة ، وتفسخ نسيجها حدّ التلاشي،عندها صمّم على أن يكون القانون بروح لا جسداً دون

حياة ، وطبّق فعل العدل ، وقتل الوحش الآدمي الذي استهان بكرامة ابنته ، وبروح القانون ، وسعد بفعله ، وإن أصبح مجرماً في نظر القانون !!!

الكاف : كانا

كانا أخوين متعاونين متعاضدين بآراء مختلفة وأهواء شتى ، وأذواق متباينة ، ولكنهما متحابان ، أليسا أخوين أنبتهما رحم واحد ، وأرضعهما ثدي حنون ؟ ذلك كان في زمن كان الوطن فيه قوياً متماسكاً ، لكن سيف الفتنة حزّ خيط الدّم ، وفكّ عرى النسب ، وجعل الأخ يشهر السلاح في وجه أخيه ؛ لأنهما ما عادا يطيقان أيّ آراء مختلفة أو أهواء شتى أو أذواق متباينة ، فقرّر أحدهما أن يبيد الآخر ، وغربان الموت أمدتّهما بالسّلاح والفرقة والفتنة ، فدفع الوطن ثمن فرقتهما ، ولبست أمهما السّواد عليهما طوال عمرها.

اللام : لا

لا أحد يستطيع أن ينكر أن جذور الخلاف أقوى من أن تُجتثّ ، وأن تاريخ التنازع والخصومة والحقد والتحارب أكبر من أن يطوى أو ينسى ، لذلك لا يمكن أن تحلم تلك القبيلتان بأيّ صلح ، فقد فنائهما تناحراً وعداوة في رمال الصحراء قدرّ أسود محتوم ، وما عليهم شيوخاً وشباباً وصبية وأطفالاً إلا أن يستسلموا لقدرهم المشؤوم المتمثّل في ذلك الخلاف الخطير القاسم بين القبيلتين ، فأهل قبيلة الواحة يحبّون اللّبن المخفوق مطبوخاً فيه اللّحم الطّازج ، ولا يقبلون عن طبّهم القبليّ بديلاً ، ويربطون كرامتهم وحسن ضيافتهم وإكرام وفادتهم بطبخه بهذه الطّريقة ، أمّا أهل قبيلة الينبوع فيحبّون اللّحم الطّازج مطبوخاً إلى جانب اللّبن المخفوق ، ولا يقبلون عن طبّهم القبليّ بديلاً ، ويربطون كرامتهم

وحسن ضيافتهم وإكرام وافادتهم بطبخه بهذه الطريقة. وأمام هذا الاختلاف الخطير في الأذواق ، وتباين مفاهيم الإكرام والكرم والضيافة ضاعت فرصة السلام والانتصار على الفرقة وعلى رمال الصحراء القاتلة!!!

الميم : مقبرة

" مقبرة العائلة يجب أن تليق بأفراد عائلتي ، وبالتحديد يجب أن تليق بي ".
 قالت وهي تداعب كلبها الصغير الحجم كفأر ، والأشعث الشعر كخاروف صحراوي ، فأوماً برأسه دليل الفهم والتأكيد ، ورفع يديه إلى السماء ، ولهج بالدعاء بحرارة وتضرع لأموات عائلتها ولأحبائهم، وإن عجز أن يتذكر لهم مأثرة واحدة ، إلا أنه عدّ وقوفه على حراسة مقبرة أسرتهن لثلاثين عاماً براتب واحد لم يعرف زيادة مأثرة تستدعي أن يصبّ عليهم وابل ترحماته. قالت له بكبرياء لا يناسب نل ثدييها الذين ترهلاً حدّ التدليّ ، وبرزا كئيبين سوداوين يجاريان سقوط عقدها الثمين من علياء رقبتها إلى سعادة كرشها : " أريد أن تجدد المقبرة بشكل كامل يا أبا جبر ، أريد أن تكسو واجهاتها وأرضها وحواف قبورها بالرخام ، وأن تزرع الزهور في أحواضها جميعاً ، وأن تطلّى بوابتها بالأسود اللامع ، أريد كذلك أن تُبنى نافورة جصّية في الوسط ، وأن تشدّب أشجارها ، وأن تُشيد في شمالها قبة من الأرابيسك العربي الأصيل لتكون صالة استقبال للزائرين ، كذلك أريد ملحقا للزائرين ، يضمّ غرفة للاستراحة وحماماً إيطالياً فاتح اللون ، ومطبخاً يناسب تحضير الوجبات السريعة ، ولا تنس أن تحضر خطأً ليعيد كتابة الأسماء على قبورها بالخطّ الكوفي القديم. باختصار أريد مقبرة مريحة ، وقبوراً تليق بمقام أفراد عائلتي ، أفهمت ما قلت ؟! "

أوماً الحارس الفقير — الذي كابد سنين طويلة من الحرمان والكِبَر — برأسه مؤكداً أمراً ما ، دون أن يعي ما سمع ، فقد كان مشغولاً بالتفكير إن كانت سعادة السيدة تقبل بأن يسكن وعائلته في مقبرة عائلتها الأكارم ، بدل أن يبقوا موزعين في بيوت الأقارب والجيران، بعد أن انتزعت الدولة بيته القديم ، ومهدت فوق حطامه شارعاً كبيراً كأحزانه !!؟ وسيعدها بقوة أن لا يزعج أهلها الموتى في قبورهم الفارهة.

النون : نعي

نعي نفسه في الصحيفة الأشهر في مدينته ، ودفع نصف راتبه مقابل هذه المزحة ، أراد أن يلهو بكل الأصدقاء والأهل والجيران والزملاء والأنسباء والمعارف ، أراد أن يضحك ملء شذقيه من حزنهم عليه ، ومن تقاطرهم إلى بيته معزّين جماعات وزرافات وفرادى ، وأن ينزل في الصحيفة تكذيباً لموته ، واستنكاراً لكل من أنزل نعيًا له في صحيفة ، قرأ النعي الذي نشره عشرات المرّات ، وضحك حتى تفتق مقدّمًا توطئة للمهزلة المنتظرة ، وطال انتظاره ، وما قرع جرس بيته أو طلب مستفسرٌ رقم هاتفه ، قلب الصحيفة لأيام إلى أن تبددت ابتساماته ، مخلفة كدرًا وضيقًا ، وما وجد نعيًا أو تأبينًا له ، فكر طويلاً في تعليل هذا التهميش والتجاهل له ، استعرض أسبابًا محتملة كثيرة لذلك ، لم تكن أخلاقه السيئة ، ومكائده اللئيمة ، وجوده المتصل ، وبخله الكبير ، وعقوقه منها، ثم آل إلى أن لا أحد يستحق دعابته الكريمة ، وأنزل في اليوم التالي وفي الصفحة الأولى مع صورة كبيرة له وملونة خبر تكذيب وفاته لكل محبيه المهتمين بحياته المباركة.

الهاء : هي

هي سعادته الوحيدة ، ومتعة روحه ، ومنتفَس حياته ، لا يتذكر بالضبط متى بدأ اهتمامه بألوانها، وبرعايتها ،وبدسّ أنفه في بتلاتها كي يسعد أنفه بشذاها ، لكنه بحق عاشقٌ للزهور ، لولاها لما كان معنيًا بالعودة إلى بيته الكئيب الذي لا يعرف معنى الألفة في تأبده فيه، وبمتابعته الحثيثة لسيرة حياتها القصيرة بين تبرعم وتفتح وذبول يطوي أيام عمره ، لم يبكِ في حياته إلا على زهوره التي داستها عجلات طفل متهورٍ مرّ بالجوار على درّاجته الهوائية الجديدة ، حينها تمزّق قلبه ، وعدّها من أعزّ الراحلين عن حياته بعد رحيل أخته التي ربّته ، ورحيل صديقه الذي كان مضطراً لقتله ؛ لأنه أحرق قلب أخته التي يعبدها ، ثم رحيل قيمه وأخلاقه وكرامته، ثم ذبول عمره في سجن العاصمة . وكاد يسلم نفسه إلى بكائه الشفيق على زهراته المذبوحات في منزله ، لكنه تماسك بقرارٍ حازمٍ ، ومسح دموعه ، وشرع يمشط الحديقة من الأزهار القتيلات ؛ لأنّ البكاء لا يليق بقاتلٍ مأجور ، فهذا سينفرّ الزبائن منه ، وهو معنيٌّ بالحفاظ على عمله . إذن ليبيك قليلاً وبسريّة في قبو المنزل حيث لا يراه أحد إلا روح زهراته الراحلة.

الواو : وقّف

وقّفَ في مكانه المعتاد في النفق الأرضي للمشاة الواصل بين الحي القديم والحي الجديد ، لبس جنونه المعتاد ، وما كان له أن يخلعه ، وتأبّط عتفه ، فتنزّى لعبابه ، وسالت أمانيه على يده المشلولة ، التي ترفض أن تقبل بصدقةٍ أو هبةٍ ، فتسقطها أرضاً كارهة راضية ، فما كان يقف في مكانه طلباً لصدقةٍ ساعٍ أو هبةٍ مارٍ ، إنّما كان يطلب العيون النجلاء ، والروائح الأنثويّة الفاتنة ، جنونه لم يمنعه

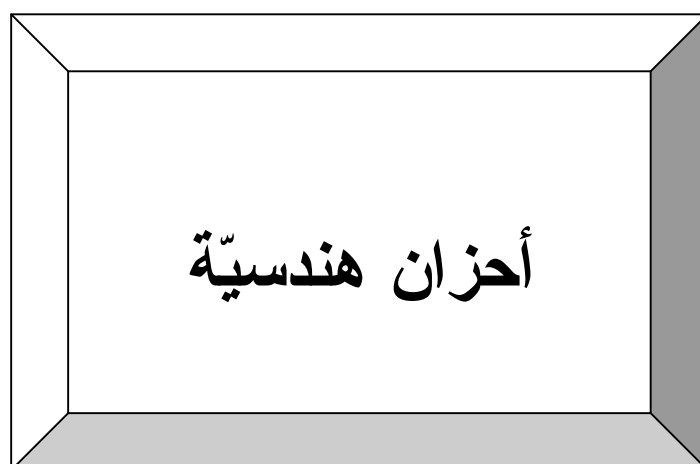
من أن يستجيب لنداء الطبيعة لذكورته المؤجلة ، وكانت هي من اللواتي مررن في ذلك الضحى من النفق ، كانت مثقلة بهمومها ، وبشبابها الذي دخل في فورته الأخيرة ، ولوح لها بيده شامتاً بطموحاتها المتداعية ومشاريعها الحمقاء ، خلخالها أنبت سحراً أنوثياً خاصاً في أذنيه ، لاحقها بالباح عبر خطواتها القليلة في النفق ، يده الشواء ولعابه المتنزّي نفاها بنزق ، أشاحت بوجهها عنه ، وحاولت أن تبعده عنها ، لكنه أبى الابتعاد ، وأمطرها بوابل من شهوات الذكورة ، ورغبات الوصال الحارّ ممّا لم تسعد بسماعه من قبل ، ولا ظنّت أنّ فمه قادر على ينطق به ، في عميق عينيه رأت ذلك الاشتهاء المتوحّش الذي يردّ الأنثى إلى همجية اللقاء ، ولذة الوصال ، تدخل المارة ، وصدّوه عنها ، فابتعدت وهي تتقطّر عرقاً وتوترّاً وشيئاً آخر ، وأقسمت على أن لا تعبر هذا النفق مرة أخرى حيث هناك مجنونه ، وبرّت بقسمها ليومين ، ثم كانت في اليوم الثالث تعبر النفق مبكراً حيث لا مارة يصدّون مجنونه عنها عندما يُمطرها بكلمات الذكورة الملهبة.

الياء : يمرّ

هو من عبيد والدها الوالي ومن جملة عبيد الأرض، يمرّ في كلّ يومٍ من أمامها ، فيطير إحساس يخضور من قلبها ، حلو المذاق ، هلامي التفسير ، ويهبط على قلبه المقيد بالعبودية ، فيهش عليه بيده؛ ليطيّره بعيداً إلى قلبٍ حرّ ، فالحبُّ يريد قلوباً حرّة لا قلوباً تُضرب بالسّوط غدوة وعشيّة ، فيعود الطائر حزيناً كسيفاً لينام في ضلوعها التي أورقت زهوراً نديّة غضة منذ أن وقعت عيناها عليه .

كم أتعبها السَّير كلَّ يومٍ إلى حقول الذَّرة والسَّمسم كي تحظى بمتابعته عن بُعد ! وكم أشقاها عندما صدَّها ! وألقى بحبِّها بعيداً ، قائلاً : " إنَّ الحبَّ للأحرار لا للعبيد " .

حاولتُ طويلاً أن تجد من نفوره منها مسوِّغاً لهجره قبل وصله ، لكن تلك النظرات في عينيه ما كانت لتخطئ معناها أيّ أنثى ، وكي تتأكد من حقيقة ما قرأت في عينيه اشتترته من والدها الوالي ، وادَّعتُ أنَّها ستسخره لقيادة دابتها في طريق عودتها إلى مزرعة زوجها الذي يعدّها من بين ممتلكاته، وفي الطريق مزقتُ صكَّ ملكيتها له ، وأرختُ رأسها على زنديه ، وأغمضتُ عينيها ليسرقها إلى دنيا أخرى بعد أن تحرّرا .



أحزان هندسية

(١)

أحزان نقطة المركز

هو المركز في الاهتمام ، يشعر بأنّ الدّنيا تدور من حوله ، وهو في المركز لا يتحرّك، ولكنه لسبب ما لا يستطيع أن يصوغ شعوره بالكلمات. يتمنّى لو كان له حظٌّ كذلك في الدوران حيث الانعتاق والانفلات ، يشعر بأنّ هذا المركز الذي يقع فيه ، ويجعله قبلة الرّعاية والعناية هو ذاته الذي يكبله، ويقيّده، ويفرض وصاية كلّ من حوله عليه ، على الرّغم من أنّ أمّه تقول: إنّ عمره الآن يكاد يبلغ السابعة عشرة ، إنّ فهو كبير مثل أخيه مأمون، وأصدقائه الصّغار في دار الرّعاية الخاصة أمثال لمى، وجواد ، وذلك الأشقر الصّغير الذي ينسى دائماً كثيراً . إنّ فلماذا يُعامل معاملة الأطفال ؟ ربما وجوده في المركز هو السّبب.

في البيت هو محطّ اهتمام الكلّ ورعايتهم ، يطعمونه ويغسلون جسده ، ويقومون بكلّ أموره ، ويربتون عليه كقطّ سياميّ مدلّ ، وفي الشّارع تفرض أمّه أو معلمته أو مرافقة الباص الخاص الذي يستقلّه وصولاً إلى مدرسته وصاياتها عليه، واهتمامها به ، وفي المدرسة كذلك هو نقطة المركز ، فلا هو يدرس في صفّ تقليديّ ، فيه طلبة ومقاعد ومعلّمة ، بل وحده في مقعد أزرق مزركش ، وفي غرفة وحده ، ومع معلّمة متفرّغة له، فلا يسعد بلحظة مشاكسة ، أو حركة فوضى أو تشتت انتباه ، وفي باحة المدرسة ترافقه معلّمة ، تعدّل مشيته ، وترعاه ، وتعدّد أنفاسه عليه ، وكلّ ذلك سببه أنّه مهم ونقطة مركز حياة أمّه كما قالت له كلما احتجّ على حجرها على حريّته ، وعلى قسره على لزومه البيت

دون إخوته الذين يخرجون بحريّة، حتى أخته زينة التي تصغره بسنوات ، ويستطيع أن يحملها بيديه لساعات دون أن يتعب تحظى بحريّة دونها حرّيته.

ليته كان قادراً على أن يصوغ احتجاجه في كلمات ، وليته كان قادراً على نطق كلماته بسهولة دون تأتأة، وتلعثم، واضطراب ؛ إذن لقال للجميع : إنّه يكره نقطة المركز اللّعيّنة ، ويكره أنّه طفل منغوليّ كما يلقّبه الأطفال في الشارع كلّما أطلّ عليهم من شرفة منزله . لا بدّ أن منغوليّ تعني أنّه يعيش في المركز، لا تعني " ابني حبيبي " كما قالت له أمّه ، التي تكذبُ عليه كثيراً بما يخصّ أزمته مع نقطة المركز التي يشغلها ، وتبكي بحرقة وهي تحضنه.

(٢)

أحزان خطّين متوازيين

عندما تعارفا كان خطّين متوازيين ، لكن بانحراف نحو مركز واحد اسمه النّجاح والطمّوح ، وكان من المؤكّد إنّها سينتاقعان أو يلتقيان في نقطة ما ، أملاً طويلاً أن تكون نقطة المركز، وفي وتيرة النّشاط والدأب، وحمأة الإنجاز وُلدت ومضة بينهما جعلت الدّرب أجمل ، والمسافة أقصر، وكان العشق بينهما.

كلّ منهما نشأ يبرز في حقله ، وينجز الكثير ، هو سار قدماً في تولّي المناصب ، حتى أصبح وكيلاً لوزارة ، وهي سارت قدماً حتى أدركت المجد الإبداعي المسرحيّ الذي نشدت ، واقتربت لحظة التّقاء الخطّين في نقطة مركز ، وأعدّ العدة ، واشترى خاتميّ الزواج ، ووهبا وقتها من أجل التّفاصيل الصغيرة التي يحتاجان إليها لإكمال مراسم زواجهما ، وفي تلك التّفاصيل كمنت عواصف الفرقة والشّقاق : هي اجتهدت ، وتعبت ، لذلك تريد مكاسب وغنائم تناسب تضحياتها ، وهو اجتهد، وتعب ، ولذلك يريد استسلاماً وخنوعاً له يناسبان

رجولته وسطوته ، هي عنيدة ، وهو متشدّد ، هي لا تقبل بالخسارة ، وهو لا يؤمن بالتنازل ، هي تخلع خاتم الخطوبة ، وهو لا يبالي ، كلاهما يؤمن بموقفه الذي لا يتغيّر ، ويؤمن بأنّه مستقيم لا ينحني ، ولا ينحرف قيّد أنملة عن شأنه وموقفه ، يسير كلّ منهما في طريقه ، يغدوان خطّين متوازيين لا يمكن أن يلتقيا أبدًا مهما طال بهما الطريق ومهما تجاوزا.

في البداية ما كان أحدهما يبالي بالآخر ، فكلُّ منهما أشاح بوجهه عن الآخر ، وحنّا كلّ طاقتيهما على الرّكض والمزيد من الإنجاز ، فطال بهما المشوار ، إذ كان مشوار العمر ، وعندما لاحت لهما نقطة النّهاية ، محمّلين بكبرهما وحرمانهما وذكرياتهما المكسورة ، تتهدّدا وتمنيا بصدق آسف محمّل بالحسرة لو لم يكونا خطّين متوازيين ، إنن لكانا التقيا منذ زمن ، وسعدا ، وما عرفا أحزان التّنائي ، وصقيع اللّوعة ، لكن قدرهما كان التجاور أبدًا دون لحظة لقاء.

(٣)

أحزان مثلث

القانون الهندسي يؤكّد أنّ زوايا المثلث بنفس الانفراج أو الحدّة ، لذا فهي صورة عن بعضها ، ونسخةً مكرّرة لثلاث مرات عن حالة واحدة ، لكن قانون الأحزان يؤكّد غير ذلك ، فزوايا المثلث عنده غير متكافئة ، فبعضها منفرج على الآخرين ، وبعضها الآخر ضامّ على ألمه ، في حين يلتزم بعضها الحياد . وأضلاعه كذلك غير متكافئة في الطّول ، فبعضها طويل بألمه ، وبعضها الآخر قصير بحسبه ونسبه ، أمّا حزنها هي ، فزاويته منفرجة على ألم الرّوح ، وفي زاويتين أخريتين يقف اللّوم والموت اللذان يعصرانها.

في زاوية الموت يسكن ابنها الوحيد بمساحاته الممتدة على السعادة والطموح والصحة ، هو كل ثروتها من الحياة في وسط غابة من الأحزان والوحدة ورحيل الأحبة ، كان يريد أن يكرس جسده كي يكون أشهر ملاكم عرفه تاريخ الملائمة ، ولكن الموت أراد أن يستردّ روحه ، فكان لجبروت إرادته الغلبة ، فأكل روحه في حادث رياضي مريع ، ولفظ جسده سليماً معافى ينبض بالحياة بعقل لا يعرف من تعويذة الحياة إلا وجيب قلب لا يتوقف إلا بعد أيام طويلة ومعاناة موصولة. فتقرّر الأم في لحظة انتحار مجازفة أن تتبرّع بأعضاء ابنها الصحيحة من قلب وورئة وكلّى وكبد وجلد وعظام وقرنيتين إلى مرضى في حاجة إليها ؛ فهي تريد أن توزع حياة ابنها الآفلة على أرواح أخرى ، فيسعد المرضى بقرارها ، وتبكي هي بحرقة كسيفة.

وفي زاوية ثالثة يصبّ المجتمع لومه على قلبها الذي أصبح مقبرة ندية تضمّ رفات ابنها بحنان ولهفة ، وينعى عليها أن تمزق سكينه فقيدها الأعزّ ، وتدفنه مسلوب الأعضاء ، لتهبها لغرباء لا تعرفهم ، ولا يعرفون شيئاً عن معاناتها أو عن رحيل ابنها. لكنّها تضرب صفحاً عن لوم مجتمعها ، وعن خرافات بخله المقيتة ، وتهب أعضاء ابنها للمرضى السبعة، فيشفون ، وهي ما كان لها أن تشفى لولا أنّها نعمتُ بسماع قلب ابنها ينبض من جديد في صدر فتى يافع ، وبقرنيتي ابنها تبصران النور في وجه طفلة صغيرة ، ويلمس جلد ابنها يتمدّد على جسد طفل صغير ، فامتلات حنايا زواياها عزاءً ، وكادت تُقسم على أنّ ابنها ما يزال على قيد الحياة.

(٤)

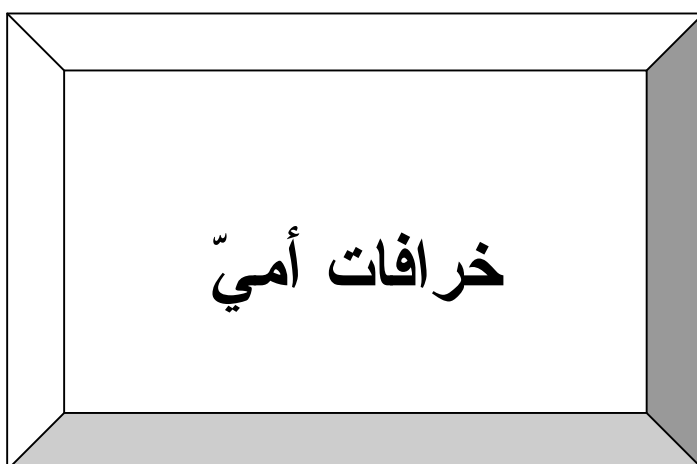
أحزان مربع

يجوز كذلك في عُرف الأحزان أن تتساوى زوايا الحزن، وأن تتماثل أطوال أضلاع الحسرة إذا كان هناك أربعة متحابين يفشلون في وضع صيغة وئام تتسع لهم معاً دون إقصاءٍ لزاوية أو أن كسرٍ لضعٍ آدميٍّ أو هندسيٍّ ، هما وحيدا أميهما ، وهما يتيمان دون أبوين ، وصدفة الزواج التقليدي هي التي جمعت بين ذاتيهما التي تذوقت بأنسهما أول رشفات العسل النقي المصفى ، فوجدتها حلوة سائغة، فما عرفت شبعاً منها ولا اكتفاء . كان من الممكن أن يعيشا في نعيم الزواج لولا أن لكلٍ منهما أم تعدّ الابن ملكاً من أملاكها ، لا تقبل فيه منازعاً ، حار الزوجان طويلاً في مربعهما الأسطوري الملعون ، فكلٌ فيه عاشق ومعشوق ، ولكن لا يمكن أن يتبادل الحبُّ فيه بين الزوايا الأربع في آن ، وإذا سعد اثنان ، فعلى اثنين آخرين أن يتعسا بشدة ، وكان الفصل الأول من الهناء من حظ الزوجين العاشقين ، ثم تفرقا بأسى بضغطٍ وكيدٍ من أميهما ، فسعدتا ، وشقي الزوجان ، وضاقا ذرعاً بالحياة ، وانكمشا في كائنين حزينين لا يرواحان مكانهما، ولا ينتظران مستقبلاً أو يشفقان على حاضرٍ أو حتى يحنا إلى ماضٍ ولّى دون رجعه ، فانتقل حزنهما إلى أميهما اللتين أخفتا في إصلاح ما أفسدتا، فغدوا جميعاً مربعاً حزيناً لا يعرف السعادة ؛ لأنّ زواياه أحبّت بغير ما يجب.

(٥)

أحزان دائرة

يكون الحزن أكبر عندما يكون دائرياً لا يعرف نهاية أو توقّف ، ويتجدّد من حيث يجب أن ينتهي، ويكون لعنة مقدّسة مغلقة لا تعويذة لفكّها عندما يسقط على قلبها ممن تحبّ دون أن يبغوا ذلك ، طفلاها هما من أضاعا النصف الأحلى والأبهج من شبابها و عنفوان أنوثتها ، وما كان طفلاً أحشائها ، بل طفلاً أمّها وأبيها ، ولم يكن لهما معيلاً ومحبّاً وراعياً ومنفقاً عليهما خلاها ، ولما استبدلا ريشهما بزغب ، وطارا ، كانت قد احترفت الانتظار ، وأعدت الحقائق لتبحث عن شريك ليقاسمها ما تبقى من رمق رغبتها ، لكنّ طفليها الآخرين كان عندها قد كُسرت أجنحتهم كبيراً وعجزاً ، واحتاجا إلى رعايتها وحبّها ، هي لم تلدهما كذلك ، بل هما من ولداها ، فهما أبوها وأمّها ، ومن جديد دخلت دائرة التّضحية الملعونة بقديسيّتها ، وراحت توفّي نذرها الذي ما اختارته، لتهدب نصفها الحزين الأخير من عمرها لوالديها الطفلين ، وكذلك كان.



خرافات أمي

عرفتُ دائماً أنّ أمي تملك مواهب استثنائية ، ولو لم تكن مطحونة في أسرة ذكورية متطرسة ، وسليمة الحرمان والضنك ، لكنت الآن على غير ما هي عليه ، لا بدّ أنّ أمي تملك أكبر كنز من الحكايا والقصص، ولو أطلقت يداها في الماضي لمألت الدنيا قصصاً وعجائب ، لكن أمي كان قدرها التمني وأحافير الأحزان في يديها، وفي خطوط وجهها ، فهي تاريخ صادق لا يمحي يؤرّخ للشقاء ولملامح الانكسار ، وتوجدات حنايا الروح ، كان من الممكن أن تكون أمي أعظم روائية أو قاصّة في هذا القرن، لولا أنها كانت أسيرة قطيع جفاة من الرجال اسمهم جديّ وأخوالي وأبي ، لذلك نفثت هبتها المقدّسة في صدري ، وأسلمت نفسها للجنون والهذيان ، وأطلقت جناحيها لدنيا الهلوسة ، ووجدت راحتها أخيراً في غرفتها البيضاء كقلبها الحليبيّ في جناح هادئ في مستشفى الجبل حيث تنزل هناك بسرّيّة ، في حين يظنّ أبي وشقيقتي وأقاربنا أنها تزورني في بلاد بعيدة حيث أسكن مع زوجي المغرم حدّ الجنون بما أكتب، إذ لم يكسر لي يوماً جناحاً ، بل حلّق معي بعيداً بجناحيّ. فما كنت قطّ لأكسر صورة أمي الرزينة العاقلة في عينيّ أحد ، وحسب أمي أنّي معها لا أفارقها ليل نهار، وأنصتُ دون مللٍ أو كللٍ إلى قصصها التي لا تفتر تزويها بسلاسة ، وكأنّها تتلقّفها من شلالٍ منهمر ، لا تتوقّف أبداً عن قصّها إلّا إذا غلبها تعب أو نعاس ، أو غلبنى ، فأتكور حينئذٍ نائمة على أريكتي بالقرب منها.

لا أعرف من أين لأمي بكلّ هذه الحكايا الأسطوريّة العجيبة ، ولا أعرف لماذا نسيتُ كلّ شيء ، حتى نسيتُ من أكون ، ولكنها بقيتُ محتفظةً ببئرها السحريّ من القصص دون أن تغفلَ عنها أو تنساها ، لعلّ قصصها هي ينبوع حياتها الأوّل ، وحقيقتها الوحيدة في دنيا الأكاذيب ، ولعلّه صدى أجزائها التي حدّثتني وأخواتي عنها آلاف المرّات في صغرنا ، فقد كانت حريصة على أن لا تتدثر قصص شقائها ، وتبقى باقية في نفوس بناتها ثروتها الوحيدة في الحياة.

الخرافة الأولى*

قالت أمي نقلاً عن الخرافة :

كان يخضور طيباً كدمعة ، نقياً كمصرع شمعة ، لا يملك شيئاً قد يُحنق حاسدٌ عليه بسببه ، حتى إنَّ عقله خلعه برضاً ، وزهد بكلِّ الدنِّيا ، وهام في الجبال ، وسكن ضفاف البحيرات، وأنصتَ طويلاً لصوت الغاب، ولتغريد الطيور، ولسقسة العصافير ، فأتقن أصواتها ، فوهبته الأجمة زمزماً خشبياً، يعزف عليه ، ويطربها بموسيقاه التي جعلته أكثر طيبة، وحباً للناس والحيوانات والكائنات.

لكنَّ الشرَّ تربص بيخضور، وحسده على زمزماره العجيب، وتسلل إلى نومه ، وسرق المزمارة، وكسره، وهرب، عندما استيقظ يخضور، ورأى زمزماره مكسوراً ، وأدرك أنَّ لا جبر له، حزن بشدة، وملاً الحقد والغضب نفسه لأول مرة في حياته، وأصبح من يومها شريراً لا يسعده أن يسمع صوت الغاب يردد متمنياً أن يسمع صوت ألحان زمزماره العجيب.

* أمي كانت طيبة كدمعة طفل ، قانعة كغيمة ، لم تحلم يوماً بثوب جديد ، ولا بجزء أنيق ، ولا بدمية جميلة؛ لأنَّ دخل العائلة بالكاد يكفي للأكل ولحاجات الحياة الأساسية بالمتبقي من المال بعد إرسال نفقات دراسة الأخ الكبير الذي يكابد قدراته الإدراكية المتواضعة وصعوبات تعلم لغة جديدة في بلاد الصقيع والبرد كي يعود بلقب مهندس ، فتفخر به الأم ، ويحمل عبء الأسرة الكبيرة عن كاهل والده المعنى.

لكن أمي سمحت لنفسها بأن تحلم بسن ذهبية ، يفتر عنها فمها القرمزي الدائري كخاتم سحري ، ولما يسمح لها أخوها الثاني بالترتيب أن تبتسم، إذ ابتسامتها تذكره قهراً بضحكات العاهرات اللواتي يسافدهن بالسر في ملهى المدينة أرادت أمي أن تلبس إحدى أسنانها بقشرة من ذهب ، ونجحت بأن تقنع والدها بأمنيتها التي تحققت على يدي أول عجري مر بالحي ، فدفعت والدها بعض المال له ، وتحملت هي ألماً جباراً ، وحصلت أخيراً على سننها الذهبية ، واختالت بها ، قبل أن يقبض أخوها عليها بجريمة الابتسام ، فيضربها ، ويكسر سننها الذهبية ، ويغرمها ثلاث أسنان أخرى عقاباً على فرحتها.

حزنت أمي طويلاً ، وما عادت تحلم قط، وإن كانت تسعد سرّاً بمراقبة أسنان أخيها تتساقط الواحدة تلو الأخرى بسبب مرض عجيب أصابها ، فيهزل من قلة الأكل الذي يكاد يقدر على ابتلاعه ، ويحرم على نفسه الابتسام كي لا يكشف عن غور فمه الأجرد.

الخرافة الثانية*

قالت أُمي نقلاً عن الخرافة :

عاشت جبينه التي هي ببياض الجبن ، ولها عينان بخضرة النعناع البري ، سعيدة بين أخوتها السبعة ، الذين نذروا أنفسهم لحماية أختهم الجميلة من غيرة ساحرة الجبل ، التي تزوجت أباهم السلطان ، وغارت من جمال ابنته الذي يفوق الحدّ، فحوّلتها إلى يمامة مسحورة ، تطير في السّماء، ولا تعرف الرّاحة. وطفق أخوتها المحبّون يبحثون عنها في كلّ مناكب الدّنيا ، إلى أن وجدوها ، وحرّروها من سحرها بسبع نقاط من دمائهم مجتمعين، ثم عادوا إلى قصر أبيهم ، فوجدوا أباهم قد مات، حزنوا عليه كثيراً ، ثم طردوا السّاحرة الشريرة من حياتهم ، وزوجوا أختهم من أجمل أمير في الدّنيا، وتزوجوا من أميرات سبعمن الممالك التي تحيط بمملكتهم ، وعاشوا جميعاً سعداء متحابين ، وأختهم جبينه بينهم ترفل في الحرير والجواهر، وتتمتع بالحبّ والاحترام والأمن ، إلى أن جاء هادم اللذات ومفرّق الجماعات.

* أُمي كانت ببشرة بيضاء كدّها الشّقاء ، وبعينين خضراوين خافتين دائماً من ركلة أو صفة من أحد أخوتها الأربعة المتجبرين ، لذلك عاشت خائفة كضفدعة في مستنقع قذر زلق ، حسبها حنان أم مغلوبه على أمرها ، باعها أهلها لزوجها منذ كانت في الرّابعة عشرة من عمرها ، فقطعت سنّي العمر القاتمة مزارعة بالسّخرة في أرض زوجها في الصّباح ، وخادمة في بيتها في المساء ، وجارية في فراش زوجها في تقاسيم اللّيل، وما كانت تشتكي ، ومن كان سيسمعها أو يرفق بها لو فعلت خلا أُمي التي ورثت مجبرة شقاء والدتها بعد موتها المفاجئ. فأصبحت خادمة الجميع ، وعدوة زوجة أبيها ذات الوجه الفضفاض المفلطح كرغيف خبز بلدي غير خامر مخبوز على عجل ، وجارية لنساء إخوانها ، ولمّا ذاقّت ذرعاً باستعبادها ، ثارت ثورة بيضاء سرّية ، لم يعلم بها أحد ، وتزوجت من أبي السّوداوي كطاعون مقرف ، واحترقت في أتون حياته ، وما بالى بها أبٌ أو أخٌ إذ ما كان تُسمح لهم نساؤهم بزيارتها إلا في عيدي الفطر والأضحى على عجلٍ حفاظاً على صورتهم الاجتماعية أمام الأقارب والأنساب ، فيدسون في يدها أوراقهم النّقدية الهزيلة والقليلة على عجل ثم يغيبون لسنة ضوئية أخرى ، ويتركون أُمي تتنعم في شقائها ، وفي كيد حميها ، وفي أحمالها الكثيرة والمتكررة.

الخرافة الثالثة*

قالت أمي نقلاً عن الخرافة :

عاشت في قديم الزمان فتاة جميلة تُسمى (كهрман) ، كلُّ الأُمراء تنافسوا على قلبها ، لكن قلبها كان مُلكاً لفارس جميل اسمه (همّام) ، وكى يظفر بها، وتظفر به ، اشترطت على من يرغب في الزواج منها أن يهديها نجمة من السّماء، حاول الفرسان أن يحققوا شرطها؛ ليظفروا بقلبها، ولكنّ الفشل كان حليفهم ، إلى أن صارع (همّام) المارد الذي يحرس قبة السّماء، وسرق منه نجمة لماعة عملاقة، وعاد بها إلى قصر حبيبتيه (كهрман) ، فمهرها النّجمة، وأهداها في يوم زفافها صندوقاً سماوياً أزرق، فيه من الجواهر ما لم تره عين، أو تسمع به أذن، وكان يهديها كلّ ليلة ثوباً شفافاً خاطه من أودية السّماء التي سرقها من المارد الجبار وعاش معها في سعادة وهناء، وأنجب صبيان وبنات ، إلى أن زارهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات.

* أمي خادمة الأسرة ، وجارية الأخوة لم يكن يُسمح لها بأن تحبّ أو تحلم أو تشتري ، ولذلك تزوّجت أبي بترتيب عائلي دون شروط أو رغبات ، وزفّت إلى بيته كأسيرة ، وإن نسيّت أنّها جارية ، كان والديّ يعريها من ملابسها دون اشتها، ويضربها بسوطه حتى يدميها ، فتشهد أنّها أمته لا زوجته ، فيغتصبها عشرات المرّات ، ثم ينام كبعير ، وتسهر ليلها تعالج جراحها ، وتبكي بصمت كي لا تعكّر صفو نوم أبي البغل ، فمشاعره مرهفة جداً ، لا سيما فيما يخصّ النّوم !!!

الخرافة الرابعة*

قالت أمي نقلاً عن الخرافة :

عاشت في قديم الزمان امرأة مباركة تحب الخير ، ولا تتطرق إلا خيراً ، تحب الناس ، وتحسن إليهم ، وتعيش معتكفة في كوخ في الجبال تعبد الله ، ويقوم ابنان لها على خدمتها ، وفي يوم اشتت فاكهة خيالية رأتها في أحد أحلامها ، فحدثت ابنها البارين عنها ، فقررا أن يسافرا ، ويجوبا الدنيا ، حتى يعودا بالفاكهة الحلم ، وانطلقا في رحلتها ، أحدهما اتجه شرقاً والآخر غرباً ، وطالت رحلة الأخوين ، حتى التقيا صدفة أمام بستان يحرسه وحش بألف أذن وألف فم ، ودون عيون .

استرق الأخوان نظرة على حديقته ، فوعدت أعينهم للتو على ثمرة غريبة لم يريا مثلها من قبل ، فأدركا أنها ما تشتهي والدتهم ، وعرضا على الوحش أن يشتريها ، فاشتراط الوحش أن يهبهما كل واحد منهما عيناً من عينيه ثمناً للفاكهة ، وأصر على طلبه ، فهو في حاجة إلى عينين كي يستطيع أن يحرس بستانه الكبير ، فكر الأخوان قليلاً ، ثم وافقا بحزن على طلب الوحش ، ووهبه كل منهما عيناً من عينيه للوحش ، وأخذا الفاكهة ، وعادا إلى والدتهما بها ، فأكلت منها حتى شبعت ثم دعت لهما ، فأبدلها الله عينين بعينيهما ، وبارك لهما في عمرهما ، وفي رزقهما ، ووهبهما بركة رؤية الشر ونبذه ، ورؤية الخير وقصده ، وكل ذلك ببركة برهما بوالدتهما العجوز .

* أمي سيدة تعيش في أوهاما وحرمانها ، ولا تستطيع أبداً أن تخرج من إسارهما ، تكره المستشفيات والأحذية البلاستيكية والتفاح الأحمر كل الكره ، وتعد الموت فيهما ، وقد اجتهدت أن أفصيحها عن الأحذية البلاستيكية والتفاح الأحمر ، لكن المرض والخيالات أرغماها على لزوم المستشفى ، وأعفاها من أن تتذكر بأسى ذلك اليوم الذي خرجت فيه أمها من مستشفى في بلدتها الصغيرة محمولة على الأكتاف ميتة ، بعد أن أصيبت بجلطة قاتلة عندما علمت أن ابنها الكبير الذي أنفقت عليه سنوات العمر ، وراحت عليه بسنين الشقاء قد عاد بعد عقد من الغياب دون لقب مهندس ، وهو يتأبط الفشل وزوجة شقراء كصفرة الموت .

لم يحتمل قلبها حزن الخيبة ، ووجدت في الموت طاقة على الفرج ، فقصدته ، وهي لا تزال تحلم باليوم الذي ستصبح فيه أم المهندس ، فلبسها ثوباً من الحرير ، ويشترى لها حذاءً جدياً بدلاً من حذائها البلاستيكي الذي برد قدميها الصغيرتين ، ويطعمها كل يوم تفاحاً أحمر كالذي تغض الطرف عنه كلما مرت به في السوق .

رحلت جدتي وتركت في نفس أمي أحزاناً بلاستيكية حمراء ، وأحلاماً صغيرة لا تتحقق ، إذ يغلق القدر أذنيه دونها لصغرها .

الخرافة الخامسة*

قالت أمي نقلاً عن الخرافة :

كان في قديم الزمان فتاة عجيبة، منذ وُلدت لا تنام ولا تأكل ولا تشرب ، فتطير الناس منها، وخافوا الاقتراب منها وعدّوها شرّاً يخشونه، ولذلك سجنوها في قلعة في الجبال، وأقاموا عليها الحرس والجدران، فعاشت الفتاة في سجنها وحيدة حزينة. وفي يوم ممطر هاجم الأعداء البلاد، ودكّوا الأسوار، وفتكوا بالزرع والنساء والذراري ، فكتبت الفتاة السجينة قصة عن جيش وطني جرّار، يسحق الأعداء، ويحقق الآمال، فدبت الحياة في الأبطال الأوراق، وأصبحوا جيشاً قهر الأعداء، حرّروا البلاد، ثم كتبت قصة عن هناء يعمر البلاد، وشفاء يدرك المرضى فيشفاهم، وخير وبركة تحلّ على العباد ، فدبت الحياة في كلماتها ، وغدت حقيقة. عندها عرف الناس قيمة الفتاة اللّغز، وأنزلوها منزلة التقدير، وأدركوا سبب استثنائيتها وغرابتها وعدم نومها، إذ لا يجوز لكلمة الحق أن تنام.

*أمي أجبرت على هجر كتبها وصفها ومدرستها بعد موت أمها لتعتني بالأخوة والبيت ، وترعى الأحران ، ولكنها لم تهجر قلمها قط ، وبقيت تكتب في دفترها المهترئ القديم آلاف القصص ، وتحلم بأن تدبّ فيها الحياة ، وتصبح حقيقة ، لكنها لم تفعل ، وماتت محروقة في موقد البيت على يديّ الأخوة الذين رأوا في احتراف أختهم الكتابة عاراً لا يمحي ، فأخرس قلم أمي ثم كسر ، وما كُسر قصصها في قلبها ، ونفثت بها في قلبي ، فكانت وهمي وقلمي ، وحقيقتي ، وكانت خرافاتها التي لا تغادرها ، ولو غادرتها الدنيا.



نفسٌ أمارَةٌ بالعشق

نفسٌ أمّارةٌ بالعشقِ

لي نفسٌ أمّارةٌ بالعشق، ولي قلبٌ لا يبترم بضغفه الأسر، ولي ربٌّ وحده يغفر خطايا العاشقين، ويبدلهم بسيئاتهم حسنات، ويدخلهم جناتٍ ونعيمًا، ولي سيرة هلالية يحفظها كلٌّ من ركب سرج قلبه، وشنّ حربًا دامية على كائن آخر اسمه حبيبه، وسيرتي يختزلها كلٌّ المؤرخين والمخلوعين في حرفي حاءٍ وباءٍ، وبين منحنيات حروفهما وانزلاقاتها تسكن كلَّ اللعنة، لعنة العشق التي توهب مجاناً لكلِّ من يملك نفساً مثلَ نفسي.

أنا صاحبة أسعد قلب في الدنيا، وصاحبة الحقيقة المطلقة، ونبية الكلمة، أنا الملعونة بلحظاتي، المتمردة على السكون، أنا وريثة كلِّ الافتقار والاحتياج والجوع والشهوة والارتواء والتهدّات والخلجات والارتعاشات والدوار اللذيذ المسحور، أنا القائمة بأمر الله في الأرض، والموكلة بكلِّ القلوب خلا قلبي، ولذا حقٌّ لي ما لا يحقُّ لغيري من حضور لحظة خلقي، كانت لحظة تختصر كلَّ حكايا العشق، وما أكثرها من حكايا! لم أكن وليدة لحظة اجتماع رجل وامرأة بل وليدة لحظة اختيار وامتزاج روح بأخرى، أنا صنيعه ضَعْف وانتقاء، من بين ملايين الخيارات في لحظة كنتُ أنا.

ولدتُ منذورةً للعشق، ومن له أن يردَّ قدره، ويبدل نذره؟! كانت عند والدي خطة أئمة تُختزل في أن يهباني أجمل ما يملك من صفاتٍ و(كروموسومات)؛ لأكون مادة للفتنة ولفخار القبيلة ولجموح الرجال الأسيرين المسجونين في الكلمة، فشغلتهما لحظة العشق عن مؤامرتيها الحلوّة، فخرجت سائلة القبح المتعاضم على انكساره، فمن والدتي أخذتُ الشَّعر الأجدع المنحول، ومن أبي أخذتُ الجسد الضئيل حدَّ الانكماش، ومن جدي لوالدتي أخذتُ

العيون الحلزونية الخاشعة كجبن أرنب، ومن زوجته أخذت الأنف المعقوف كأنف صقر كاسر، ومن جدتي لأبي أخذت المشية الطاوسية، ومن زوجها أخذت البشرة الكابية كحزن، ومن جموع المورثين أخذت الفم الكبير والشفاه الغليظة والأذنين الملتحمتين بأطراف شعر الرأس والخصر المهصور كأرنب مسلوخ، والأطراف الوزغة، والأعضاء القاصرة، ومن الريح أخذت صوتي، ومن الشيطان الرجيم أخذت نفسي المعناة بتمردها، ومن الله أخذت نفسي الأمانة بالعشق.

خيوط الشمس أول من عشقت، لبريقها يدان تحتضنان النماء والحياة، لوهجها إرادة أسرة، لاعتلائها كبد السماء سطوة خالدة، لدفتها قدسية دمعة يتيم، أدمنت على أن أدفنها في عميق عيني، لاحقتها بنظراتي الفضولية التي لا تعرف الملل ليل نهار، وعندما أصاب حريقها عيني بالمرض، منعوني عنها بقوتهم المفروضة على طفولتي الرضعية في المهده، ومنعوني الشمس، وأسكونني الظل، كان عمري وقتها أياماً، فكان الحرمان والفقد هما أول ما ذقت من الهوى، أضربت بإصرار عن الرضاع، وأعلنت ثورة على الحليب، وعندما غلبني الجوع، وهزمني العي، استسلمت ليدي الجدّة الداية ذات الشامة الخضراء، وقبلت ذليلاً بمنقوع اليانسون والنّعناع بديلاً من الحليب الذي أضربت عنه للأبد تخليداً لذكرى حبي الشمس الذي قُتل في مهده.

عاهدت نفسي يومها على كبت نفسي الأمانة بالعشق، وعلى كبح جماحها، وبررت بعهدي المقدس في عرف طهارة الأطفال لأيام أسطورية فلكية كريمة ثقيلة الخطى، فأصعب ما على النفس أن تعلن حرباً على ذاتها، ونجحت في حربي على الرغم من كثرة القتلى ومواجه الإعدامات والنفي والاضطهاد في وجداني.

وأعلنتُ التوبة عن إثمي الأوّل في الأرض، ولكنني من جديد اشتهدتُ
الخطيئة والمعصية واللّعة، ووقعتُ في حبّ كلّ شيء جميل، وما أكثر الأشياء
الجميلة في عينيّ هما نافذتان على روح تضحّ بالتفاصيل والألوان والروائح
واللّمسات والحاجات والأمنيات المؤجّلة والأفراح المسروقة من جنة الخلد حيث
كان مسكنها الأوّل في غامض العدم. عشقتُ الفراشات الملونة، و زرقة السّماء،
وثورة البحار، وصخب المحيطات، وسكون قيعان النفوس، أخلصت في مشاعري
وبرّي لكلّ وجوه الأمهات وأيدي الجدّات.

يا الله ، يا جبار، يا خالق الحبّ، كم كانت طويلة قائمة من عشقتُ، أنتَ من
وهبني قلباً عملاقاً، فهبني عمراً فيه كلّ الأعمار حتى أكون كاهنة الهيام الخالدة
التي أنى كانت حضرتُ كلّ وجوه عشاق الأرض والوطن والسّماء والخبز غير
المغموس بدم الأبرياء ، والآلاف الآلاف من وجوه الأيتام والمعذّبين والمحرومين
، ووجوه المستضعفين المنكودين، ووجوه الأيتام، وكلّ أرغفة الجائعين.

في كلّ ليلة احترفت تعاطي الممنوع المهرب من الرائق الخالص من المشاعر
لعشاق الذين لا يحصيهم عدداً إلاّ الرب في عليائه، أحببتُ كلّ من قالوا: لا ، و
كلّ من قالوا: نعم تومىء إلى لا، أحببتُ علياً ولمبا وجيفارا وماو وصالح الدّين
وشجرة الدرّ والحلاج وجميلة بو حيرد ومصطفى كامل وعلي الزبيق ومسرور
السّياف ومعروف الإسكافي وجعفر الطيّار وابن عربي وديك الجن الحمصي
وفارس عودة وجان دارك وهانبيال وإيسار والمتنبي وأبا العتاهية وهوميروس
والظاهر بيبرس وفراس العجلوني والشّريف الرضي و نزار قباني وعمر أبو
ريشة وفيكتور هيجو و كلّ الثائرين المبتغين الشمس، وأحببتُ كذلك صبر أمي
وأبي، فقد كانا وريثي زمن الجوع والانتظار، ووهبتُ دموعي لعروس البحر،
ولسندريلا صاحبة الحذاء المفقود، وسكنتُ أجساد كلّ محبوبات رجال الأرض

ودوختُ بكلمات كلِّ الشعراء، وحظيتُ بكلِّ قُبُلِ المُقبَلين، ولمسات أكفَّ
المشتهين، ولعنات كلِّ الفاعلين وآثامهم، ثم استغفرتُ الله، فغفر لي، أليس هو
أرحم الراحمين؟؟

ونسيتُ أسماء كلِّ عشاقِي؛ إذ خاط لي ساحر مغربي يهودي آثم حجاب
نسيان، فعَلَّقته في رقبتِي ليل نهار بخيط قَنَب، فنسيتُ كلَّ آثامي وسعاداتي، إلاَّ
مجيداً الأَبكم، فقد كان حبَّ طفولتي الأوَّل. كان قذر الملابس والجسد شأنه شأن
كلِّ المعدمين المنكودين، حرَمه النَّصيب، فأضاع فمه وأذنيه، كان العوبة أشقياء
الحارة القديمة حيثُ أسكن مزروعة بين أشتال أمي، حين أشفقتُ على عجزه،
فأشفق على دمامتي، وعلى أنوثتي المكسورة المأسورة في جسدي المزدرى، فكانتُ
له دون العالمين قبلتي الأولى، لم يكن ممن يحفظون فطرياً أبجدية الإسعاد ولغة
الجسد، ولكن كان عنده أبلغُ صمت، وأحرَّ دمعته، وأنا أحبُّ الدَّموع، أجمعها في
قوارير شفافة، وأصنعُ منها ترانيم الفرح.

أحببتُ مجيداً حتى أحتلَّ جارنا ذو العضلات المفتولة والشعر الخيليِّ مكانه في
قلبي، كان يصطحبني معه إلى السَّينما مع بناته الخمس المنحوتات بعناية إلهية
واضحة على هيئة دمي جميلة، كان يعدني ابنته، ويشفق على استحياء على
أنوثتي القردة، وكان كلما حملني بيديه القويتين، ووضعني في مقعد قاعة العرض
في السَّينما الذي لا تصل قدمي إلى قاعدته، فيتمرجح شبشبتي البلاستيكي
البرتقالي القديم في الهواء، أحلم بأن أملكه روحاً وقلباً، وأعد بإخلاص خصل
شعره الذهبية بقصائد خالدة، لكنَّه ما كان لييالي بصغيرة بشبشب برتقالي
بلاستيكي وإن أهدته قصيدة.

أمَّا جابر فكان معنياً بالقصائد والكلمات، ولها دفع عمره، أنا أحببتُ جابراً،
ولكنه أحبَّ الكلمات أكثر مني، وكتبَ القصائد، وثور الساكنين، وحمل

السّلاح، ومات مشبوحاً على دكة التعذيب، وما قال: لا، فتوحّمت به كلّ النّساء الحبالى، وحملت منه العذارى بالثائرين دون أن يلمسهن ، فغدا لي جيش من الضّرائر والمنافسات، وأنا كمسلّة في كفّ قتيل ، لا أحبّ الشّركاء، فلتحبّ كلّ النّساء جابراً، وليحبّه الوطن، أمّا أنا فلي أن أعانق الفقد.

للحق سرعان ما غار اسم حامد بين حشد أسماء قائمتي الحاضرة الغائبة، حيث حسّان الهبيّلة، وجبر أبو ريحة، وسلمان أبو بربور، وعباس اللّص، وكايد اللّقيط الذي يعيش في دار الأيتام، ولا يعرف له ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً، وحسين الذي يعيش في علبة كرتون بجوار كلبه الأعور، ومخلد الأثغ الذي يقرب الرء غيناً، وناصر ابن الوالي الذي يصليّ دون وضوء، ويعاشر بنات الهوى في حوزة أبيه العلميّة، وكيمو المخنث الممزق بين عالمي الأنوثة والرّجولة، وسليمان الغجري الذي يحبّ قرده وموسيقاه ورحيله المتصل أكثر مني، وطارق الذي يعيش مع دزينة أخوة صغار في غرفة صغيرة في مخيم نسيه النسيان، وعدد كبير من أولاد الجيران والمدينة والدّراسة الذين ماعدت أحفظ أسماءهم أو أتذكر وجوههم، ولا سوء في ذلك؛ فللعشّاق جميعاً وجه واحد واسم واحد، ومن حفظ اسماً واحداً منها، فقد حفظ كلّ الأسماء.

وبقي اسم حبيبي الخالد الذي يجيء ولا يجيء مرقوماً في المجهول، وفي انتظاره اجتهدت أن أتعلّم مهنة الخياطة كي أطرح على من أحبّ عباءة من صني، أشك فيها سيلاً من النجوم والكواكب والمجرات. وسريعاً أتقنت الخياطة؛ فقد كنت أتمنّى في تعلّمي لها حكمة: "من يدرز ينجح"!!! ونجحت؛ لأنني درزت دون توقف ليل نهار، وصنعت بعد سنين عجاف عباءة الغائب المتأخر. طويتها على غير هون، ومسدت عليها بعطفي الخفي، وغلّفتها بتعويذة أثيرة، وانتظرت أن يأتي الحبيب، ومرّ العمر، وشاب الشّعر

الأجدد، وتقبّض الأديم، وتقبّض الجسد الهزيل ذو المشية الطاوسية المزعومة،
وغادرنني ضيف لذيذ حلو اسمه الشباب.

واعترافاً بريادتي وتمردّي، فقد عُيِّنتُ رئيسة فخرية لحزب الحبّ، ولرابطة
المشاعر الجياشة، ولدارة العواطف، ورئيسة تحرير لمجلة السّعداء، ومستشارة في
محطة المحظوظين الفضائية، فضلاً عن تأليف كتاب موسوعي عن العشق وطرائقه
وأبوابه ومنافذه، وبات شعار مريديّ في الحياة قول الشاعر:

ماتبتُ عن عشقي ولا استغفرته ما أسخفَ العشاقَ إنْ همُ تابوا!!

ولكنني كنتُ أجزم بأنّ الله سيغفر لي، نعم سيغفر؛ لأنني على الرّغم من
كلّ قصص عشقي لم أعشق قطُّ، فأنا امرأة تملك كلّ الحكايا وعباءات الانتظار،
لكنّها أبداً لا تملك حكاية لها مع حبيب غير ورقي، وهذا قدر الأنفس الأمارة
بالعشق والمولعة بكتابة الرجال الذين لا يأتون حقيقة إلا على الورق، ولا شيء
غير الورق، فننسى أمارة بالكتابة أيضاً!!!



مليون قصة للحزن

مليون قصة للحزن

يستطيع أن يلخص حزنه المقيت المقيم في قصر إرادته في مليون سبب، ولكن لأنه يوقن أن لاوقت عند أحد لسمع أحزان رجل كلّ غيماته غير ماطرة بل مرعدة ومزبدة ومجلجلة وحسب، ولأنّ حياته أقصر من قصّة، ولأنّه معنيٌّ بألم غيره أكثر من ألم نفسه المضناة، فقد قرّر أن يجعل الحزن هو مشروع حياته، مادام قد ولد ليحده توأمه المقيت، راهن نفسه التي تكاد لا تملك أيّ رهان، على أن ينذر نفسه لتدوين مليون قصة للحزن، يقيدّها بقلمه الرّشيق ولغته السّاحرة، ونفسه المكسورة على أحزانه، لعلّه بعمله الغريب هذا يحبس الآهات في كلماته، ويجعل لها سفراً دونه لعنة السّماء، ويثبت له طاقة إنجاز في هذا العالم الذي بالكاد يعترف بوجوده الخامل على الرّغم من موهبته الشّمس، وطاقاته الإبداعية الفدّة.

يحدّث نفسه دائماً بأنّ مشروعه غريب، ولكنه يعزّي نفسه أيّان غزته هذه الفكرة بأنّها لا تقلّ غرابة عن هذا العالم المجنون الذي يعيشه، لا يجد الكثير ممن يرثون لمصيره في هذا المشروع، كما لا يجد الكثير ليحتجّ عليه، فمن هو الذي سيعنيه أن يتوقّف عند رجل وحيد يملك قطيعاً من الأحزان وغابة من الغيمات غير الماطرة!؟

قليلة هي الأشياء التي حزمها لترافقه في رحلته الهدف، فمن يملك الأحزان، وينذر نفسه لها، لا يحتاج إلى الكثير من الرفاهية أو المتع أو الرّفاق. وهو منذور لأحزانه التي جعلته يطوّف الدنيا يسمع الحكايا، ويمسّد على الآلام، ويربت على الجراح، حتى غدا يملك مهارة عجيبة تجعله بلا منازع ملك الاعترافات، فقد حفظ عن ظهر قلب مجاري الألم، وأشكال اللوعة، ورائحة الحرمان، ونكهة

الاشتياق، ومرارة الظلم، وملمس الضغينة، وهمس الحبّ المكسور، وأريج التمني، وعبق الشهوة، حتى ما عادت نفسه تصمد أمامه أكثر من دقائق قبل أن تشرع تحمله أحزانها، وتبوح له بأسرارها، وتتاجيه بمكتومها، فيشرع يخلدها بكلماته، ويحوّل عدمها إلى قصة خالدة في سفره العظيم ثم يرحل من جديد نحو مبتغاه الحزن، الذي أنى توجهه وجدّه، فهو أسهل مطلب، وأسرع موجود، فليس هناك أقرب من حزن.

خمسون عاماً قطعها يرتحل ويدون في سفره العظيم قصصه المضمخة بمعاناة أهلها، حتى عرف به القاصي والداني، وغدا كتابه مضرب الأمثال، ورأس الشؤوم، وطلسم الأسحار، وآمن الناس خبط عشواء بأن من يكتب قصة حزنه في هذا السفر يخلع نحسها عنه، ولذلك قصده الناس من كل صوب، ورافقوه في تطوافه أملاً في أن يكتب قصصهم في سفره، وقد طاب له أن يؤمن الناس بهذا الشكل الساذج كي يخلو له وجه الكتابة.

وكمل كتابه أو كاد إلا قصة واحدة بقيت ناقصة، فتش عنها دون جدوى، وبدأ الموت يدقّ بابه بإلحاح وقد بلغ من العمر عتياً، وشرع جسده يخونه، وصحته تخذله وهو مأسور لفكرة أن ينهي كتابه، وينتصر في رهانه على نفسه، ولكن هيهات أن يحدث ذلك، وهو لم يجد بعد القصة رقم مليون، سكنه ألف ألم جديد، وشرع جسده في المزيد من الخيانات التي تسقط أمام جبروت الموت، وما وجد قصته الأخيرة ليفوز برهانه، فكّر في أن يكرّر أيّ قصة تتشابه في تفاصيلها مع قصة أخرى في كتابه، ولكن فكرة الإخلاص في عمله، والشرف في الفوز ألحّت على عيّه، فانتصرت على احتياله.

رقد لأيام طويلة في سريرهِ يتمنى أن يجد قصته المليون، ويؤمل النفس في رحيل جديد وراء قصته الأخيرة المنشودة، وعندما أسدل جفنيه على آخر مشهد يرقبه في حياته قبل رحيله الأبدي الأخير كان ما يزال يجهل أن قصة حياته المختزلة في جمع أحزان الناس، وتدوينها هي القصة المليون لرحلته المثقلة بهم والضحك والحرمان الذي تمثّل في أن لا يعرف أنه قد أدرك غايته ورهانه حتى وإن جهل ذلك!!

المؤلف في سطور

١ - سناء كامل أحمد شعلان.

٢ - أردنيّة الجنسيّة .

٣- الديانة مسلمة.

٤ -خلوي (٠٠٩٦٢٧٩/٥٣٣٦٦٠٩)

البريد الإلكتروني: selenapollo@hotmail.com

Selenapollo77 @yahoo.com

٥ - العنوان البريدي: المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان الرّمز البريدي:

(١١٩٤٢)، ص.ب (١٣١٨٦).الفاكس ٠٠٩٦٢٦٥٣٠٠٢٤٥

٦- رابط أعمالني بالشراكة مع الفنان محمد الغانم:

الجزء الأول: groups.google.com/group/Sana-Shalan

الجزء الثاني:

<http://groups.google.com/group/SanaShalan-Part2>

٧- رابط أعمالني بالشراكة مع الفنان محمد الغانم على موقع أعمال عالمي:

<http://www.4shared.com/dir/6375305/e8b0be3/sharing.html>

٨- رابط الأعمال المشتركة للأدباء الفلسطينيين لشباب: Adab.alqudsnet.com.

٩- موقعي:

www.daralkashkol.com

الشهادات العلمية:

- ١- حاصلة على درجة الدكتوراه في اللغة العربية من الجامعة الأردنية بتقدير امتياز عام ٢٠٠٦ .
- ٢- حاصلة على درجة الماجستير في الأدب الحديث من الجامعة الأردنية بتقدير امتياز عام ٢٠٠٣ .
- ٣- حاصلة على درجة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة اليرموك بتقدير امتياز عام ١٩٩٨ .

العضويات الأدبية والثقافية:

- ١- عضو في رابطة الكتاب الأردنيين.
- ٢- عضو في اتحاد الكتاب العرب.
- ٣- عضو في أسرة أدباء المستقبل/منتدى عمون للأدب والنقد.
- ٤- عضو في ملتقى الكرك الثقافي.
- ٥- عضو في النادي الثقافي في الجامعة الأردنية.
- ٦- عضو فخري في دار ناجي نعمان للثقافة.
- ٧- عضو في دارة المشرق للفكر والثقافة.
- ٨- عضو في رابطة الأدباء العرب.
- ٩- عضو شرف فخري في المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث.
- ١٠- عضو في جمعية المترجمين واللغويين العرب "واتا".
- ١١- عضو هيئة تحرير ضفاف الدجلتين العليا.
- ١٢- عضو مؤزر في المعهد الدولي لتضامن النساء.
- ١٣- عضو في جمعية النقاد الأردنيين.
- ١٤- عضو في المنظمة العربية للإعلام الثقافي الإلكتروني.

- ١٥- عضو في رابطة الأدباء العرب.
- ١٦- عضو هيئة استشارية عليا في وكالة أنباء عرار بوابة الثقافة العربية.
- ١٧- عضو فخري في جمعية المترجمين واللغويين المصريين.
- ١٨- عضو في جمعية الأنوار الإنسانية المستقلة.
- ١٩- عضو في المجلس العالمي للصحافة.
- ٢٠- عضو الهيئة الاستشارية لمجلة المجتمع التربوي.
- ٢١- عضو في جمعية الأخوة الأردنية الفلسطينية.
- ٢٢- عضو هيئة تحرير في مجلة بلسم الصحة والجمال.

الوظائف التي شغلتها:

- ١- دكتورة في الجامعة الأردنية- مركز اللغات .
- ٢- محاضر متفرغ لتدريس العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الأردنية- مركز اللغات.
- ٣- محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية - مركز اللغات .
- ٤- محاضر غير متفرغ في قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية.
- ٥- معلمة للغة العربية للمراحل الأساسية العليا لمدة سبع سنوات.
- ٦- معلمة للدراما الهادفة للطلبة الموهوبين لمدة أربع سنوات.
- ٧- مراسلة لمجلة الجسرة الثقافية في قطر.
- ٨- عضو هيئة استشارية في دارة المشرق للفكر والثقافة.
- ٩- عضو هيئة إدارية في دارة المشرق للفكر والثقافة.
- ١٠- عضو تحكيم ومقررة جائزة لعديد من المسابقات الإبداعية والثقافية المحلية والعربية.

- ١١- عضو في الهيئة العلمية الاستشارية لملتقى السرد المغاربي-قسم الأدب العربي، جامعة سكيكدة، الجزائر.
- ١٢- لها عامود أسبوعي ثابت في صحيفة الدستور الأردنية.
- ١٣- لها عامود اسبوعي ثابت في صحيفة أبعاد متوسطة المغربية.
- ١٤- أمين عام لجائزة مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع للعام ٢٠٠٩.
- ١٥- لها عامود ثابت في صحيفة الرائد السودانية.
- ١٦- لها عامود ثابت في مجلة أصداء الفلكية في الإمارات العربية المتحدة.
- ١٧- لها عامود ثابت في مجلة رؤى السعودية.
- ١٨- ممثلة منظمة النسوة العالمية في الأردن.
- ١٩- مراسلة مجلة النجوم، وصحيفة الأنوار والتلغراف الناطقات بالعربية في سدنّي/استراليا.
- ٢٠- لها عامود ثابت في صحيفة التلغراف في سيدني/استراليا.
- ٢١- لها عامود ثابت في صحيفة حق العودة الفلسطينية.
- ٢٢- لها عامود ثابت في صحيفتي بناء الوطن والمقاوم الأردني الأردنيين.

الجوائز الأدبية والإبداعية التي حققتها:

- ١- جائزة جامعة فيلادلفيا التاسع للمسرح الجامعي العربي، أحسن نص مسرحي عن مسرحية "يحكى أن" للعام ٢٠١٠.
- ٢- جائزة الشيخ محمد صالح باشرحيل للإبداع الثقافي العالمية في دورتها الثالثة في حقل الرواية والقصة القصيرة عن مجمل إبداعاتي الروائية والقصصية، للعام ٢٠١٠.
- ٣- جائزة الكاتب الشاب/مؤسسة عبد المحسن قطان، الجائزة التشجيعية في حقل المسرح عن مسرحيتها "البحث عن فريزة" للعام ٢٠٠٩.

- ٤- جائزة بصيرا الثامنة " شهداء الثورة" في القصة القصيرة،الأردن، عن قصة " المفصل في تاريخ ابن مهزوم وما جادت به العلوم " للعام ٢٠٠٩.
- ٥- جائزة ساقية الصاوي الإبداعية في القصة القصيرة ،القاهرة ،مصر، عن قصة " جالاتيا مرة أخرى" للعام ٢٠٠٩.
- ٦- جائزة أدب العشق لوكالة سفنكس للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، عن قصة " نفس أمارة بالعشق" للعام ٢٠٠٩.
- ٧-جائزة شرحبيل بن حسنة للعام ٢٠٠٨ للإبداع، بلدية إربد، الأردن، الجائزة الأولى،حقل قصة الأطفال عن قصة " زرياب" للعام ٢٠٠٨.
- ٨- جائزة جمعية جدة للثقافة والفنون / وزارة الثقافة في جدة / السعودية في دورتها للعام ٢٠٠٨ للمسرح بالجائزة الأولى عن مسرحية" دعوة على العشاء" للعام ٢٠٠٨.
- ٩- جائزة مجلة ملامح ثقافية في حقل المجموعة القصصية المخطوطة عن مجموعة" عام النمل" للعام ٢٠٠٨.
- ١٠- جائزة " باسم حبي لك لكتابة أفضل رسالة حبّ، الجائزة الأولى عن رسالة بعنوان" باسم حبي لك " للعام ٢٠٠٨.
- ١١- جائزة أنجال هزّاع آل نهيان لأدب الأطفال /حقل قصة الأطفال في دورتها العاشرة عن قصة "صاحب القلب الذهبي" للعام ٢٠٠٧.
- ١٢- جائزة الحارث بن عمير الأزدي للإبداع في دورتها السادسة بالجائزة الأولى في حقل القصة القصيرة عن قصة" حكاية لكلّ الحكايات" للعام ٢٠٠٧م.
- ١٣-جائزة جامعة الهاشمية لكتابة النص المسرحي،الجائزة الأولى عن المسرحية المخطوطة " يُحكى أن" للعام ٢٠٠٧.
- ١٤- جائزة الكاتب الشاب/مؤسسة عبد المحسن قطان، الجائزة الأولى عن المجموعة القصصية " عينا خضر" للعام ٢٠٠٦.

- ١٥- جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي في دورتها الثالثة بالجائزة الأولى عن أحسن نص مسرحي عن مسرحية "ضيوف المساء" للعام ٢٠٠٦.
- ١٦- جائزة جمعية مكافحة إطلاق العيارات النارية بالجائزة الأولى عن قصة "رسالة عاجلة" للعام ٢٠٠٦ م.
- ١٧- جائزة الشارقة للإبداع العربي عن مجموعتها القصصية "الكابوس"، المركز الأول للعام ٢٠٠٦.
- ١٨- جائزة دار ناجي نعمان للثقافة عن السيرة الغيرية للأطفال بعنوان (زرياب) للعام ٢٠٠٦.
- ١٩- جائزة الجامعة الأردنية بالمركز الأول بلقب مسرحي الجامعة عن أحسن نص مسرحي (سنة في سرداب) للعام ٢٠٠٦.
- ٢٠- جائزة ساقية الصاوي في القصة القصيرة عن قصتها "الغرفة الخفية" للعام ٢٠٠٦.
- ٢١- جائزة البجراوية لأحسن بحث علمي للعام ٢٠٠٥ عن بحث بعنوان "مقاربة بين رسالة الغفران للمعري والكوميديا الإلهية لدانتي".
- ٢٢- درع رئيس الجامعة الأردنية للطالب المميز أكاديمياً وإبداعياً للعام ٢٠٠٥.
- ٢٣- جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي في دورتها الثانية عن المجموعة القصصية "أرض الحكايا" للعام ٢٠٠٥.
- ٢٤- جائزة الدكتورة سعاد الصباح في القصة القصيرة عن مجموعتها القصصية "حك لي حكاية" للعام ٢٠٠٥.
- ٢٥- جائزة الدولة للإبداع الشبابي في القصة القصيرة للعام ٢٠٠٥.
- ٢٦- جائزة لقب قاصة الجامعات الأردنية عن قصة "حكاية" للعام ٢٠٠٥.
- ٢٧- جائزة المسابقة الثقافية + الدرع الثقافي لرئيس الجامعة للعام ٢٠٠٥.
- ٣٨- جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي عن رواية "السقوط في الشمس" للعام ٢٠٠٥.

- ٢٩- جائزة أدباء المستقبل عن قصة "سداسية الحرمان" للعام ٢٠٠٥.
- ٣٠- جائزة رابطة الأدب الإسلامي للقصة القصيرة عن قصة " عينا خضر " للعام ٢٠٠٤.
- ٣١- جائزة ولقب الجامعة الأردنية في حقل القصة القصيرة عن قصة " الحكاية" للعام ٢٠٠٤.
- ٣٢- جائزة ولقب الجامعة الأردنية في حقل الخاطرة عن خاطرة "إليك" للعام ٢٠٠٤.
- ٣٣- جائزة ولقب الجامعة الأردنية في حقل نهاية القصة القصيرة عن قصة " حدث ذات مساء" للعام ٢٠٠٤.
- ٣٤- جائزة قسم اللغة العربية / الجامعة الأردنية في القصة القصيرة عن قصة "كرنفال الأحزان" للعام ٢٠٠٤.
- ٣٥- جائزة الدولة للإبداع الشبابي في القصة القصيرة للعام ٢٠٠٤.
- ٣٦- جائزة أدباء المستقبل للقصة القصيرة عن قصة "احك لي حكاية" للعام ٢٠٠١.

الاستحقاقات :

- ١- درع الجامعة الأردنية لعضو هيئة التدريس المتميز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٩، ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلمي.
- ٢- حاصلة على لقب " واحدة من أنجح ٦٠ امرأة عربية للعام ٢٠٠٨" ضمن الاستفتاء العربي الذي أجرته مجلة " سيدتي" الصادرة باللغة العربية واللغة الانجليزية.
- ٣- درع الجامعة الأردنية لعضو هيئة التدريس المتميز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٧، ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلمي.

- ٤- درع الجامعة الأردنية لطالب الدراسات المتميز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٦، ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلمي.
- ٥- درع " النجوم " للتميز الإبداعي والإعلامي من مجموعة صحف ومجلات: النجوم والتلغراف والأنوار للصحافة للعام ٢٠١٠ من سيدني/استراليا.
- ٦- درع رئيس الجامعة الأردنية للطالب المميز أكاديمياً وإبداعياً للعام ٢٠٠٥

المؤتمرات :

- ١- مؤتمر دهوك الثقافي الثالث في كردستان العراق، والمشاركة بورقة عمل بعنوان " تجربتي مع كتابة القصة القصيرة + مشاركة قصصية " للعام ٢٠١٠.
- ٢- المؤتمر الأول لمعلمي اللغة العربية في استراليا، الضيف العام للمؤتمر، والمشاركة بورقة عمل بعنوان " المعلم عرب اللغة العربية الأخير " للعام ٢٠١٠.
- ٣- مؤتمر كلاويز في دورته الـ ١٣، مشاركة بورقة عمل "نفس أمارة بالعشق"، وزارة الثقافة في السلیمانية، للعام ٢٠٠٩.
- ٤- مؤتمر " مئوية علي الدوعاجي " مشاركة بورقة عمل "علي الدوعاجي ساخرًا"، اتحاد الكتاب التونسيين، تونس، للعام ٢٠٠٩
- ٥- مؤتمر " الرواية في الأردن " المشاركة بورقة عمل "العوالم الفنتازية في روايات غسان العلي: رواية أهرميان أنموذجاً"، أمانة عمان الكبرى، بيت الفن، الأردن ، عمان، ٢٠٠٨.
- ٦- مؤتمر " البحر والمقاومة في دورته الثالثة "، مشاركة بورقة عمل " سيرة مولانا الماء"، وزارة الإعلام السورية بالشراكة مع أسرة مهرجان البحر، بانياس، اللاذقية، سوريا، ٢٠٠٨.

- ٧- مؤتمر "القصة القصيرة في الوقت الحاضر" البطل الهامشي في قصص زياد أبو لبن "مشاركة بورقة عمل، جمعية النقّاد الأردنيين ووزارة الثقافة الأردنية، آب ٢٠٠٨.
- ٨- مؤتمر "السرد العربي المعاصر في مشهد العالمية"، مشاركة بورقة عمل " الفنتازيا في الرواية والقصة القصيرة العربية"، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة للعام ٢٠٠٦.
- ٩- مؤتمر "المرأة المبدعة" للعام ٢٠٠٥، مشاركة بورقة عمل " بين دانتي وأبي العلاء المعري" السودان، اتحاد المرأة السودانية.
- ١٠- مؤتمر "المشهد الروائي في الأردن على مشارف القرن الحادي والعشرين: ورقة عمل"البنية الحكائية في رواية عبد الناصر رزق" ٢٠٠٤، جامعة آل البيت.

تأليف مسرحيات وإخراج:

- ١- تأليف مسرحية " يحكى أن" ، ٢٠٠٩.
- ٢- تأليف مسرحية "٦ في سرداب"، ٢٠٠٦.
- ٣- إعادة تأليف وسيناريو وإخراج مسرحية "المقامة المضيرية" ، مسرحية تعليمية، ٢٠٠٣.
- ٤- تأليف وإخراج مسرحية "عيسى بن هشام مرة أخرى"، مسرحية تعليمية، ٢٠٠٢.
- ٥- تأليف وإخراج مسرحية "العروس المثالية"، مسرحية كوميدية هادفة، ٢٠٠٢.
- ٦- تأليف وإخراج مسرحية " الأمير السعيد"، مسرحية أطفال، ٢٠٠٠.
- ٧- تأليف وإخراج مسرحية "أرض القواعد"، مسرحية تعليمية هادفة، ٢٠٠٠.
- ٨- تأليف وإخراج مسرحية من غير واسطة، مسرحية كوميدية هادفة، ٢٠٠٠.

المسرحيات الممثلة:

١- مسرحية " يحكى أن" مثلت في العام ٢٠١٠، من فرقة مختبر المسرح الجامعي في الجامعة الهاشمية،الأردن،إخراج عبد الصمد البصول.و عرضت في مهرجان فيلادلفيا التاسع للمسرح العربي،وفازت بجائزة أحسن نص مسرحي.

الإنتاجات الأدبية المطبوعة:

١-الكتب النقدية المخصصة:

- 1- كتاب نقدي بعنوان "السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن ١٩٧٠-٢٠٠٢م" ٢٠٠٤، من إصدارات وزارة الثقافة الأردنية.
- 2- كتاب نقدي بعنوان "الأسطورة في روايات نجيب محفوظ" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/قطر.
- 3- طبعة ثانية من كتاب "السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن ١٩٧٠-٢٠٠٢م"، ٢٠٠٦ صادر عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.
- ٨-المشاركة في فصل إبداعي في مؤلف جماعي في إطار سلسلة" الثقافة بالمجان من دار نعمان للثقافة"، ٢٠٠٦، صادر عن دار نعمان للثقافة.

٢-الكتب:

- ١-كتاب بعنوان "دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب:تفجيرات عمان في قصص" صادر عن دار الخليج-عمان ٢٠٠٦م.

٤- الإنتاجات الإبداعية:

- ١- رواية بعنوان "السقوط في الشمس"، ٢٠٠٤م، صادرة عن أمانة عمان الكبرى
- ٢- طبعة ثانية من رواية "السقوط في الشمس"، ٢٠٠٦، صادرة عن دار الوراق- عمان.
- ٣ - مجموعة قصصية بعنوان "الجدار الزجاجي" صادرة عن عمادة البحث العلمي-الجامعة الأردنية ٢٠٠٥م.
- ٤- مجموعة قصصية بعنوان "قافلة العطش"، ٢٠٠٦، صادرة عن أمانة عمان الكبرى.
- ٥- مجموعة قصصية بعنوان "الكابوس" صادرة عن أمانة جائزة الشارقة للإبداع العربية للعام ٢٠٠٦.
- ٦- مجموعة قصصية بعنوان "الهروب إلى آخر الدنيا" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/قطر
- ٧- مجموعة قصصية بعنوان "مذكرات رضية" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/قطر.
- ٨- مجموعة قصصية بعنوان "ناسك الصومعة" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/قطر.
- ٩- مجموعة قصصية بعنوان "مقامات الاحتراق" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/قطر.
- ١٠- مجموعة قصصية بعنوان "أرض الحكايا" ٢٠٠٦، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/قطر.
- ١١- مجموعة قصصية بعنوان "رسالة إلى الإله" ٢٠٠٩، صادرة عن دار الآداب اللبنانية بدعم من مؤسسة قطان.

- ١٢- مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين أردنيين بعنوان "مختارات من القصة الأردنية" ٢٠٠٨، صادرة عن وزارة الثقافة الأردنية، الأردن.
- ١٣- مجموعة قصصية مشتركة مع قاصين عرب بعنوان "في العشق" ٢٠٠٩، صادرة عن وكالة سفنكس للترجمة والنشر، مصر.
- ١٤- مجموعة قصصية بعنوان تراثيل الماء ٢٠١٠ صادرة عن مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع/ الأردن بدعم من وزارة الثقافة الأردنية.
- ١٥ - مجموعة من القصص والدراسات والمقالات في الصحافة الأردنية والعربية.

٥- الانتاجات الإبداعية للأطفال:

- ١- قصة للأطفال بعنوان " العزّ بن عبد السّلام: سلطان العلماء وبائع الملوك" ٢٠٠٧م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.
- ٢- قصة للأطفال بعنوان " عبّاس بن فرناس: حكيم الأندلس" ٢٠٠٧م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.
- ٣ - قصة للأطفال بعنوان " زرياب: معلّم الناس والمروءة" ٢٠٠٧م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.
- ٤- قصة للأطفال بعنوان " صاحب القلب الذهبي" ٢٠٠٧م، صادرة عن مؤسسة جائزة أنجال هزّاع بن زايد آل نهيان لأدب الطفل.
- ٥- قصة للأطفال بعنوان " هارون الرشيد: الخليفة العابد المجاهد" ٢٠٠٨م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.
- ٦- قصة للأطفال بعنوان " الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو العروض والنحو العربي" ٢٠٠٨م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.
- ٧- قصة للأطفال بعنوان " ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحبي السنّة" ٢٠٠٨م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.

٨ - قصة للأطفال بعنوان " الليث بن سعد: الإمام المتصدق " ٢٠٠٨م، صادرة عن نادي الجسرة الثقافي/ قطر.

٩- قصة للأطفال بعنوان " زرياب: معلّم الناس والمروءة " ٢٠٠٩م، طبعة ثانية، صادرة عن وزارة الثقافة الأردنية/ الأردن

الدورات المتخصصة:

١- دورة Windows, Word, Excel, Powerpoint, Interent، للعام ٢٠٠٨، مؤسسة الزاجل الهندسية، الأردن.

٢- دورة Arabic and English Typing، للعام ٢٠٠٨، مؤسسة الزاجل الهندسية، الأردن.

٣- دورة Internet and email للعام ٢٠٠٩، مؤسسة الزاجل الهندسية، الأردن.

اللغات:

- ٤- اللغة الإنجليزية: جيد جداً.
- ٥- اللغة العبرية: مقبول.
- ٦- اللغة الإسبانية: مقبول.
- ٧- اللغة الفارسية: مقبول.

انتهتِ المجموعة القصصية... ولكن....

عنوان المؤلفة
الأردن – عمان – ١١٩٤٢
ص.ب ١٣١٨٦
خلوي: ٠٠٩٦٢٧٩٥٣٣٦٦٠٩
البريد الإلكتروني :
Selenapollo@hotmail.com